

رَأْيَاتُنَا
كِرِيْسِيْتِي

عِيْنَةٌ مِّنَ الْكِتَابِ
(لِلتَّصْفِحِ وَالْإِطْلَاعِ)

مُفَامِرَةٌ كَفَكَّةُ الْعِيْدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أغاثا كريستي

مغامرة كعكة العيد وقصص أخرى

طُبعت للمرة الأولى باللغة الإنكليزية عام ١٩٦٠

ترجمة: نبيل عبد القادر البرادعي

تحرير: رمزي رامز حسون



الأجبال
للترجمة
والنشر

AJYAL Publishers

هذه الترجمة تضم النصّ الكامل لمجموعة أغاثا كريستي القصصية
المنشورة أول مرة عام ١٩٦٠ بعنوان

The Adventure of the Christmas Pudding

Copyright © Agatha Christie Ltd 1960

حقوق الطبع محفوظة للناشر:
الأجيال للترجمة والنشر والتوزيع

يُمنع نقل أو تخزين أو إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب
بأي شكل أو بأية وسيلة: تصويرية أو تسجيلية أو إلكترونية
أو غير ذلك إلا بإذن خطي مسبق من الناشر

Arabic edition published by AJYAL Publishers
e-mail: books@al-ajyal.com

الطبعة الرابعة

٢٠٢٠

مغامرة كعكة العيد

قال السيد هيركيول بوارو: أنا آسف جداً!

ولكنه قوطع بلهجة مهذبة بارعة تخلو من التكلّف: أرجو أن لا تتسرع بالرفض يا سيد بوارو، فهذه قضية حيوية تخص الدولة، وسوف تكون الأوساط العليا ممتنّة لتعاونك.

لوح بوارو بيده قائلاً: إنه لطف كبير منك، ولكني -فعلاً- لا أستطيع تولي الأمر، ففي هذا الوقت من السنة...

قاطععه السيد جيزموند ثانية: فترة عيد الميلاد... وهل أجمل من قضائه على الطريقة القديمة في الريف الإنكليزي؟

ارتعش هيركيول بوارو الذي لم ترُق له فكرة الريف الإنكليزي في مثل هذا الوقت من السنة، وعاد السيد جيزموند ليُغريه بقوله: عيد ميلاد على الطريقة القديمة!

قال هيركيول بوارو: ولكني لست إنكليزياً، وفي بلادي لا يحتفل بعيد الميلاد سوى الأطفال، أما نحن الكبار فنحتفل بعيد رأس السنة.

- آه، ولكن عيد الميلاد في إنكلترا تقليد عظيم، وأؤكد لك أنك ستشاهده على أفضل صورة في «كينغزليسي»، وهو منزل قديم

رائع ، حتى إن أحد أجنحته يعود إلى القرن الرابع عشر.

وارتعث بوارو مرة أخرى ، فقد شعر بخشية من ذكر المنازل الريفية القديمة ، فقد عانى كثيراً من منازل إنكلترا التاريخية تلك. نقل نظره باستحسان في أرجاء شقته المريحة العصرية المدفأة المجهّزة بأحدث وسائل الراحة ، ثم قال بحزم: إنني لا أغادر لندن في الشتاء.

نظر جيزموند إلى زميله ، ثم إلى بوارو وهو يقول: لا يبدو أنك تقدّر تماماً الأهمية العظيمة لهذه القضية يا سيد بوارو.

لم يكن الزائر الآخر قد تفوّه حتى الآن إلا بعبارة «تشرّفنا» مهذبةً ورسميةً ، وقد جلس الآن محدقاً إلى حذائه اللامع وقد ارتسمت على وجهه علاماتُ الامتعاض الشديد. كان شاباً لا يتجاوز الثالثة والعشرين من عمره ، وبدا واضحاً أنه في حالة بؤس شديد.

قال بوارو: نعم ، بالطبع ، إنني أقدر خطورة القضية ، ومشاعري القلبية مع صاحب السمو.

أجاب جيزموند: إن الموقف في غاية الدقة.

حوّل بوارو انتباهه من الشاب إلى زميله الأكبر سنّاً. لو أراد المرء أن يلخّص السيد جيزموند بكلمة واحدة لكانت تلك الكلمة هي: «التحفظ». كان كل ما فيه متحفظاً ، ملابسه المناسبة جيدة التفصيل ، صوته العذب المصقول الذي لا يرتفع إلا نادراً عن الوتيرة المقبولة ، شعره البني الفاتح الذي يرقّ عند الصدغين ، ووجهه الشاحب الجاد. بدا لهيركيول بوارو أنه قد تعرّف في حياته إلى عشرات من أمثال السيد جيزموند ، وكانوا جميعاً يستعملون - في

لحظة ما- العبارة نفسها: «الموقف في غاية الدقة».

قال بوارو: يمكن للشرطة أن يتولوا القضية بكفاءة.

- لا، ليس الشرطة، فاسترداد ال... حسناً، إن استرداد ما نريد استرداده يتطلب بالتأكيد إجراءات في المحاكم لا نرغب في خوضها، كما أننا لا نعرف إلا القليل من المعلومات. إننا نشك، ولكننا لا نعرف.

قال بوارو ثانية: إنني معكم من كل قلبي.

وقد كان بوارو مخطئاً لو ظن أن مشاعره القلبية ستعني شيئاً لزائرته، فقد كانا يريدان مساعدة عملية لا مشاعر قلبية.

عاد السير جيزموند لشرح محاسن عيد الميلاد الإنكليزي: إن الطراز الحقيقي لأعياد الميلاد التقليدية آخذ بالتلاشي كما تعلم، فالناس يقضونه في الفنادق هذه الأيام. أما عيد الميلاد الإنكليزي، حيث تجتمع العائلة كلها، والأطفال وهداياهم، وشجرة عيد الميلاد، والديك الرومي، وكعكة الخوخ، ورجل الثلج خلف النافذة...

قاطع هيركيول بوارو مشاكساً ومراعياً لدواعي الدقة: وكيف نصنع رجل ثلج وليس ثمة ثلج. لا أعتقد أنه يمكن شراء الثلج، حتى لعيد ميلاد إنكليزي.

قال السيد جيزموند: كنت أحدث صديقاً لي في مكتب الأرصاد الجوية اليوم وأخبرني أنه من الأغلب هطول الثلج في عيد الميلاد.

لم يكن نقل هذه المعلومة في محله، فقد ارتعش هيركيول

بوارو بأشد مما ارتعش سابقاً وهو يقول: ثلج في الريف؟ سيكون هذا أسوأ، ولا سيما في بيت حجري ضخّم بارد.

- أبدأ، فقد تغيرت الأمور كثيراً في السنوات العشر الأخيرة، وتوجد الآن تدفئة مركزية تعمل بالوقود.

للمرة الأولى بدأ التردد يلوح على وجه بوارو وهو يتساءل:
في «كينغزليسي» تدفئة مركزية؟

اغتنم السيد جيزموند الفرصة قائلاً: نعم، بالطبع، بالإضافة إلى شبكة واسعة للماء الساخن، وأنابيب تدفئة في كل غرفة، ثق - يا عزيزي بوارو - بأن «كينغزليسي» هو الراحة ذاتها في فصل الشتاء، وربما وجدته أدفاً من اللزوم.

قال بوارو: غير معقول!

وبحداقة متمرسه استغل جيزموند هذا التقدم قائلاً وهو يضع ثقته في بوارو: أنت تدرك صعوبة المتاهة العويصة التي نتخبط فيها؟

هزّ بوارو رأسه، فالمشكلة لم تكن سهلة حقاً، فمنذ بضعة أسابيع وصل إلى لندن أمير شاب هو الابن الوحيد لأحد مهرجات الهند. وكانت بلاده تمر بفترة من الاستياء والقلق، فرغم ما يتمتع به والده من ولاء شعبي نتيجة محافظته على نمط حياته الشرقي إلا أن الرأي العام كان يشعر بالريبة نوعاً ما تجاه الابن، فقد كانت حماقاته ذات طابع غربي لا يلقى الاستحسان. وقد أعلنت حديثاً خطوبته لابنة عم له كانت حريصة على عدم إظهار أية عادات غريبة في بلدها رغم دراستها في جامعة كامبريدج، وقد أعلن عن موعد الزواج وقام

الأمير الشاب برحلة إلى إنكلترا حاملاً معه بعضاً من جواهر أسرته الشهيرة لكي يعهد لدار «كارتيه» بإعادة وضعها في قوالب عصرية. وكان من بين الجواهر ياقوتة مشهورة نُزعت من عقدها ذي الطراز القديم ووضعتها صاغة «كارتيه» المشهورون في قالب جديد.

حتى ذلك الحين سارت الأمور بشكل طبيعي، ولكن بعد ذلك ظهر ما لم يكن متوقعاً، فقد كان من الطبيعي لشاب على هذه الدرجة من الغنى والنزوات أن يرتكب بعض الحماقات، كأن يهَبَ صديقة عابرة مشت معه في شارع بوند سواراً من الزمرد أو مشبكاً ثميناً لقاء الصحبة التي جمعت بينهما، وأن يعتبر ذلك طبيعياً! ولكن الأمير كان أكثر طيشاً من ذلك، فبعد أن انتشى بإطراء السيدة واهتمامها أراها الياقوتة الشهيرة في قلبها الجديد، ثم زاد من حماقته فاستجاب لطلبها بأن تستعيرها لسهرة واحدة فقط.

وكانت العاقبة سريعة مؤلمة، فقد تركت المرأة طاولة عشائها لتجديد زينتها، ومَرَّ الوقت ولم تعد، فقد غادرت المبنى من باب آخر واختفت منذ ذلك الحين. وكان الجانب المأساوي في الموضوع أن الياقوتة بقلبها الجديد قد اختفت معها.

هذه هي الحقائق التي كان من شأن إعلانها إثارة عواقب وخيمة، إذ لم تكن الياقوتة مجرد ياقوتة، بل كانت ملكاً تاريخياً ذا أهمية عظيمة في تلك المنطقة من البلاد، وكانت ملابسات اختفائها تجعل أي إعلان غير ضروري عن تلك الملابس أمراً يمكن أن يؤدي إلى عواقب سياسية خطيرة جداً.

ما كان جيزوموند بالرجل الذي يضع تلك الحقائق بشكل مبسط،

فقد لفها بالكثير من الحشو والبهرجة. ولم يكن بوارو يعرف بالضبط من هو جيزموند. لقد قابل الكثير من أمثاله خلال عمله، ولم يكن متأكداً مما إذا كان جيزموند يعمل في وزارة الداخلية أو الخارجية أو أي مكتب سري آخر من مكاتب الدولة، المهم أنه كان يعمل لحساب الحكومة وأن الياقوتة ينبغي أن تُسترد، وأن السيد بوارو (كما أصر جيزموند برفق) هو الرجل الذي ينبغي أن يستردها.

قال بوارو مدعناً: حسناً، ولكن معلوماتكم قليلة جداً. مقترحات وشكوك... وهذا كله لا يكفي لبدء التحقيق.

- دع عنك ذلك يا سيد بوارو، فالمشكلة لا تستعصي على قدراتك بالتأكيد. هيا يا صاحبي!

كان ذلك تواضعاً زائفاً، فقد كان واضحاً من نبرة صوت بوارو أن مجرد تعهده بمهمة يجعل النجاح مرادفاً لها.

قال جيزموند: إن الرجل ما يزال في مستقبل العمر، ومن المؤلم أن تفسد حياته كلها بسبب لحظة طيش عابرة.

نظر بوارو بلطف إلى الشاب المنكسر الخاطر وقال مشجعاً: إن الشباب هو وقت الحماقات، ولو كان الأمير شاباً عادياً لمرّ الأمر بلا مشكلة، إذ يتولى الأب دفع التكاليف ويتولى محامي الأسرة حل جميع المشكلات وينتهي كل شيء بسلام. أما في وضع كوضعك فالأمر صعب بالفعل، فأنت على وشك الزواج...

قاطعته الشاب والكلمات تتدفق منه لأول مرة: هذه هي المشكلة، هذه هي بالضبط، فخطيبي جادة كثيراً وتتعامل مع الحياة

بجدّ كبير. الفضيحة هي المشكلة، فالياقوتة -كما تعلم- مشهورة جداً جداً، ولها تاريخ طويل رافقه الكثير من سفك الدماء وسقط بسببها الكثير من القتلى!

نظر بوارو بإمعان إلى جيزموند قائلاً: القتلى؟ أرجو أن لا يصل الأمر لهذه الدرجة!

قام جيزموند بحركة مضطربة أشبه بدجاجة أرادت وضع بيضة ثم غيرت رأيها، ثم قال بجدّ مفتعل: لا، لا، من المستحيل أن تصل الأمور إلى هذا المستوى.

أجاب بوارو: لا يمكنك التأكيد، فبصرف النظر عن الشخص الذي يحوز الياقوتة الآن فربما كان آخرون يسعون للحصول عليها. من الذي يمكنه أن يقاوم الإغراء يا صديقي؟

أجاب جيزموند بمزيد من الجدية المفتعلة: ما أظننا بحاجة إلى الدخول في افتراضات من هذا النوع، فهي غير مُجدية.

أجاب بوارو بجدية مفاجئة: أما أنا فأضع جميع الاحتمالات في الاعتبار، مثل السياسيين!

نظر جيزموند إليه بشك وهو يستجمع نفسه قائلاً: حسناً، فهل أعتبر الأمر منتهياً إذن؟ هل ستذهب إلى «كنغزليسي»؟

تساءل بوارو: وكيف سأبرّر وجودي هناك؟

ابتسم جيزموند وأجاب بثقة: أعتقد أن ترتيب ذلك مسألة يسيرة. أوكد لك أن الأمر سيبدو طبيعياً تماماً، وستجد آل «ليسي»

قوماً رائعين وممتعين!

- ألم تخدعني بشأن التدفئة المركزية؟

أجاب جيزموند بشكل بدا معه متأثراً: أبدأً، أؤكد لك أنك ستجد هناك كل وسائل الراحة.

تمتم بوارو وهو يتذكر: "الرفاهية العصرية كلها"، ثم أضاف: موافق.

-٢-

كانت درجة الحرارة في غرفة استقبال كينغزليسي الكبيرة اثنتين وعشرين درجة مئوية عندما جلس بوارو يتحدث إلى السيدة ليسي قرب إحدى النوافذ الكبيرة ذات الأعمدة الحجرية.

كانت السيدة ليسي تطرّز بالإبرة، ولم تكن تطرّز أشكالاً نافرة أو زهوراً مزخرفة على الحرير، بل بدا أنها تشغل نفسها بمهمة تطريز حواشٍ لمناديل المائدة، وكانت تتكلم وهي تطرّز بصوت رقيق تأمليٍّ وجده بوارو رائعاً: آمل أن تستمتع بحفلة عيد الميلاد عندنا هنا يا سيد بوارو، فهي تقتصر على العائلة: حفيدتي وحفيدي وصديقه، وبريجيت ابنة أخي، وابنة العم ديانا، وصديق قديم هو ديفيد ويلواين. حفلة عائلية تماماً، وهو ما أخبرتني إدوينا موكام أنك تريده. حفلة عيد ميلاد تقليدية لن تجد شيئاً تقليدياً أكثر منها، فزوجي ما زال يعيش في الماضي تماماً، وهو يحب أن يرى كل شيء كما كان عندما كان صبيّاً في الثانية عشرة من عمره، وقد اعتاد على قضاء إجازاته هنا.

ابتسمت لنفسها وأكملت: يريد كل شيء كما كان، شجرة عيد الميلاد والأكياس المعلقة وحساء المحار والديك الرومي... بل يريد ديكين رومين أحدهما مسلوق والآخر مشوي، وكعكة الخوخ التي يُخفى فيها الخاتم وزرّ العازب، وكل التفاصيل الأخرى. لم تعد الأمور كما كانت من قبل، ولكن زوجي يتوقع كل شيء، كل الحلويات القديمة، حلوى اللوز والزبيب والفواكه المجففة والزنجبيل... يا إلهي! أبدو وكأنني دليلٌ للأطعمة والحلويات!

- لقد أثرت شهيتي يا سيدتي.

- أتوقع أننا سنصاب جميعاً بسوء هضم مريع مساء غد، فما من أحد اعتاد على أكل كل هذا في هذه الأيام.

قطعت حديثها بعضُ الصيحات والقهقهات العالية خارج النافذة، فنظرت إلى الخارج ثم قالت: لا أدري ماذا يفعل هؤلاء في الخارج... ربما كانوا يلعبون لعبة ما. لقد كنت أخشى دائماً أن يشعر هؤلاء الفتيان بالملل من عيد الميلاد عندنا هنا، ولكن على العكس من ذلك. إن لابني وابنتي وأصدقائهما موقفاً مترفعاً تجاه العيد، فهم يعتقدون بأنه هراء وهرج مبالغ فيه وأن من الأفضل قضاءه في فندق ما حيث يُمضون الوقت بالرقص والاحتفال، أما الجيل الأصغر فيجد عيدنا هنا ممتعاً جداً.

سكتت السيدة ليسي قليلاً ثم مضت تقول: وبالإضافة إلى ذلك فإن فتيان وفتيات المدارس هم دائماً في حالة جوع، أليس كذلك؟ لا بد أنهم يجوعونهم بقدر ما يأكله ثلاثة رجال أشرار.

ضحك بوارو وقال: إنه لطف كبير منك ومن زوجك يا سيدتي

أن تسمح لي بالانضمام إلى حفلكم العائلي بهذه الطريقة.

- إن هذا من دواعي سرورنا بالتأكيد، وأرجوك أن لا تُلقني بالأذى إذا وجدت هوراس فظاً بعض الشيء، فهذه طريقته ليس أكثر.

كان زوجها الكولونيل هوراس ليسبي قد علّق على حضور بوارو قائلاً: لا أستطيع فهم السبب الذي جعلك ترغيبين في وجود أجنبي لعين يعكّر علينا عيدنا. لماذا لا يأتينا في وقت آخر؟ إنني لا أستطيع تحمّل الأجانب. حسناً، حسناً، لقد فرضته علينا إدوينا موركام. ولكن ما علاقتها هي؟ بودّي لو أعرف لماذا لا تستضيفه هي في عيد الميلاد؟

وأجابته السيدة ليسبي في حينها: لأنك تعلم جيداً أن إدوينا تذهب دوماً إلى حفلة آل كلاريدج.

نظر إليها زوجها نظرة ثابتة وقال: أظنك تخططين لشيء، أليس كذلك؟

قالت وقد فتحت عينيها الزرقاوين: أخطط لشيء؟ طبعاً لا! ولماذا أخطط؟

ضحك الكولونيل العجوز ضحكة عميقة مدوية وقال: إنني لا أستبعد ذلك، فعندما تبدين في غاية البراءة تكونين بصدد أمر ما.

* * *

بعد أن استعرضت السيدة ليسبي تلك الأفكار في عقلها مضت إلى القول: لقد قالت إدوينا إن بإمكانك مساعدتنا. لست متأكدة كيف

ستساعدنا، ولكن إدوينا قالت إن بعض أصدقائك قد وجدك كفوًّا في مشكلة مثل مشكلتنا. ولكن، أنت لا تعرف عن أي شيء أتكلم.

نظر إليها بوارو مشجَّعاً. كانت في نحو السبعين من عمرها، منتصبَةً القامة كالرمح، لونُ شعرها كيباض الثلج، وردية الوجنتين زرقاء العينين ذات أنف مضحك وذقن ينمُّ عن التصميم.

قال بوارو: إذا كان ثمة ما يمكنني عمله فسأكون سعيداً بذلك. إنها قضية افتتاح مؤسفة لفتاة شابة كما فهمت.

هزّت السيدة ليسي رأسها بالإيجاب وقالت: نعم. ولكن يبدو من غير الطبيعي أن... أن أحدثك عن ذلك، ففي النهاية أنت غريب تماماً. أردف بوارو بتفهّم: وأجنبي أيضاً.

قالت السيدة ليسي: نعم، ولكن من شأن هذا أن يسهّل الأمر على نحو ما. ومهما يكن فقد بدت إدوينا مقتنعة بأنك ربما تعلم شيئاً... حسناً، لنقل: شيئاً ذا فائدة عن ذلك الشاب ديزموند لي ورتلي.

اقتطع بوارو لحظة من تفكيره لكي يعجب بإبداع السيد جيزموند، فقد استعمل السيدة موركام بسهولة ويسر لتحقيق أهدافه الخاصة، ثم عاد ليقول: ليس لهذا الشاب سمعة حسنة كما فهمتُ.

- بالطبع ليست سمعته حسنة، بل إنها سيئة جداً. ولكن هذا لن يؤثر في علاقة سارة به، فمن غير المجدي أن تحدّر الفتيات من الرجال السيئِي السمعة، بل إن هذا سيرغبهنّ بهم أكثر.

- أنت محقّةٌ تماماً.

تابعت السيدة ليسبي: في شبابي (وكان هذا قبل وقت طويل جداً) اعتاد أهلنا أن يحذرونا من بعض الشباب، وكنا نتمنى لو نستطيع مراقبتهم أو الاختلاء بهم.

ضحكت ثم مضت قائلةً: لذلك لم أدعُ هوراس يعالج الأمر بطريقته.

قال بوارو: أخبريني، ما الذي يقلقك بالضبط؟

قالت السيدة ليسبي: لقد قُتل ابننا في الحرب ثم ماتت زوجته أثناء الولادة فنشأت سارة بيننا وقمنا على تربيتها. وقد حرصنا على أن تتمتع سارة دوماً بأكبر قدرٍ من الحرية، ولا أدري إن كنا على صواب في ذلك.

- إنه الأفضل كما أعتقد، إذ لا يستطيع المرء أن يناقض روح العصر.

- هذا ما كنت أعتقدُه تماماً. وبالطبع فإن الفتيات يُقدِّمنَ على مثل هذه الأمور في هذه الأيام.

نظر بوارو إليها مستفهماً فقالت: دعني أعبّر عن ذلك بالشكل التالي: لقد عاشت سارة حياة الطبقة الدنيا، فلم تحرص على أن تظهر بالمظهر اللائق بها اجتماعياً، بل آثرت -عوضاً عن ذلك- أن تعيش في بيت من غرفتين قرب النهر في تشيلسي وترتدي تلك الملابس المضحكة التي يلبسها شباب تلك الطبقة بجواربهم السميقة السوداء أو الخضراء الفاقعة، وراحت تمارس حياتها دون أن تغسل شعرها أو تمشطه!

- هذا طبيعي تماماً، فهي «الموضة» اليوم، وسوف يكبرون
ويتركونها.

- نعم، أعلم ذلك، ولست قلقة من هذا النوع من التصرفات،
ولكنها افتتنت بهذا المدعو ديزموند لي ورتلي (ذي السمعة البغيضة)
الذي يعيش على خداع الفتيات الثريات، ويبدو أنهن يقعن في حبائله
بجنون. لقد أوشك على الزواج بالآنسة هوب لولا أن أهلها لجؤوا
إلى المحكمة ووضعوها تحت الوصاية، وهو ما يريد هوراس أن
يفعله مع سارة لكي يحميها كما يقول. ولكنني لا أظن أنه سيكون
مجدياً يا سيد بوارو، إذ يمكن لهما أن يهربا إلى أيرلندا أو الأرجنتين
ويتزوجا هناك غير آبهين لوصاية المحكمة. فإذا ما وُلد لهما طفلٌ
فلا يملك المرء إلا الإذعان للأمر الواقع والموافقة على الزواج، ثم
يقع الطلاق بعد عام أو عامين (كما أراه يحصل عادة) وتأتي الفتاة
إلى بيتها لتتزوج بعد فترة تطول أو تقصر شخصاً طيباً إلى درجة البله
وتستقر معه. المحزن في الأمر هو وجود طفل يُربى في ظل زوج
أم لا يمكن أن يعامله معاملة الأب مهما كان لطيفاً. ولعل ما كنا
نفعله في شبابتنا أفضل بكثير من هذا المصير، إذ كنا نعتبر أن أول
فتى تقع الفتاة في حبه هو دائماً غير ملائم! وأتذكر أنني كنت أحس
بعواطف قوية تجاه شاب، شاب يُدعى... من الغريب أنني لا أذكر
اسمه الأول، ولكنه من عائلة تيببت. وقد منعه والدي من زيارتنا،
ولكنني كنت أرقص معه في الحفلات التي كنا ندعى إليها. وكنا
نهرب لنجلس معاً، وأحياناً كان أصدقاءنا ينظّمون رحلات فنذهب
معهم. وكان المرء يستمتع كثيراً بتلك اللقاءات الممنوعة، مع أننا
لم نكن نذهب بعيداً في علاقاتنا كما تفعل فتيات اليوم. وبعد فترة

اختفى السيد تيببت ليظهر بعد أربع سنوات، فهل تصدق -يا سيد بوارو- أنني دهشت عندما التقيت به بعد تلك السنوات وتساءلت: ما الذي أحببت فيه؟! فقد بدا لي شاباً بليداً لا شكل له ولا منطق.

قال السيد بوارو بلهجة واعظة: يعتقد المرء دوماً أن أيام شبابه هي أجمل الأيام.

أجابت السيدة ليسي: أعلم أن كلامي مملٌ وما كان لي أن أصجرك، ولكنني -على أية حال- لا أريد لسارة أن تتزوج ديزموند لي ورتلي وهي الفتاة الغالية عليّ. لقد جمعت الصداقة بين سارة وديفيد ديلاوين الموجود هنا، ولطالما أحببنا بعضهما البعض.

وفكرت السيدة ليسي قليلاً ثم قالت: حسناً، سأعترف لك -يا سيد بوارو- أنني أنا نفسي أحببت ديزموند. طبعاً لا أعني أنني أحببته فعلاً بعقلي، بل شعرت بجاذبيته وعرفت أسباب تعلق سارة به. ولكن لي من العمر والتجربة ما يجعلني أعرف أنه عديم الفائدة تماماً، حتى ولو استمتعت بصحبته.

ثم أضافت بكآبة: مع أنني أعتقد أن له بعض الصفات الحسنة، فقد استأذن في إحضار أخته إلى هنا بعد أن أجرت عملية قاتلاً إن مما يحزنها أن تقضي العيد في المستشفى. وقد تساءل إن كان في إحضارها معه أي إزعاج لنا، كما تعهد بأن يوصل بنفسه طعامها إلى غرفتها ويقوم على خدمتها. وأنا أعتقد أن هذا الموقف يعتبر موقفاً لطيفاً منه، ما رأيك أنت يا سيد بوارو؟

قال بوارو وهو غارقٌ في التفكير: إن موقفه يدلُّ على مراعاة

لمشاعر الآخرين، وهو ما لا ينسجم مع شخصيته.

- لا أدري، ولكن يمكن أن تكون للمرء عواطف عائلية طيبة في نفس الوقت الذي يتمنى فيه سرقة فتاة غنية. وبالمناسبة، فإن سارة ستصبح غنية جداً، ليس بما ستركه لها من أموال (إذ إن معظم أموالنا ستؤول مع هذا البيت إلى حفيدنا كولين)، ولكن والده سارة كانت غنية جداً وسوف تؤول ثروتها إلى سارة عندما تبلغ الحادية والعشرين، وهي الآن في العشرين من عمرها. حسناً، أنا أعتقد أن خوف ديزموند على أخته كان بالفعل موقفاً نبيلاً، كما أنه لم يختلق لها مركزاً وهمياً مرموقاً، فهي تعمل طابعة اختزال في لندن كما أذكر. وقد حافظ على وعده الطيب بحمل الطعام إليها في أغلب الأحيان، ولذلك فإن فيه بعض النقاط الجيدة كما أعتقد.

ثم أضافت السيدة ليسي بتصميم شديد: ولكنني -مع ذلك- لا أريد لسارة أن تتزوجه.

قال بوارو: بعد كل الذي سمعته وأخبرتني به فإنني أظن أن هذا الزواج سيكون كارثة.

تساءلت السيدة ليسي: هل تظن أن بوسعك أن تساعدنا بأي وسيلة؟

أجاب بوارو: نعم، أظن أن هذا ممكن، ولكنني لا أريد أن أعدّ بالكثير لأن أمثال ديزموند في عالمنا هذا أذكاء يا سيدتي. ولكن لا تيأسي، فبوسع المرء أن يصنع شيئاً ما تجاه هذا الأمر. وفي كل الأحوال سأبذل قصارى جهدي، إن لم يكن لشيء فامتناً مني لتلطفكم بدعوتي لمتعة عيد الميلاد هذه.

ثم نظر حوله وأضاف: لأنه ليس من السهل الحصول على عيد ميلاد جيد في هذه الأيام.

تنهدت السيدة ليسي وانحنت إلى الأمام قائلة: هذا صحيح. ولكن أتعلم ما الذي أحلم به وأتوق للحصول عليه يا سيد بوارو؟
- أخبريني أنت يا سيدتي.

- ببساطة: أتوق إلى بيت صغير عصري تسهل إدارته يُبنى في الحديقة هنا بمطبخ عصري تماماً ودون ممرات طويلة، بيت بسيط ومريح أسكنه.

- إنها فكرة عملية جداً يا سيدتي.

- ولكنها صعبة التحقيق، فزوجي يعشق هذا البيت والإقامة فيه ولا يعبأ إن كان غير مريح قليلاً أو كانت به بعض النواقص، وهو يكره (بكل معنى الكلمة) السكن في بيت صغير عصري في الحديقة!

- إذن فأنت تُضَحِّين من أجل رغباته؟

- أنا لا أعتبرها تضحية يا سيد بوارو، فقد تزوجت هوراس فكان جيداً معي وأسعدني طول هذه السنين، وأنا أريد أن أسعده.

قال بوارو: ستستمرين في السكن هنا إذن؟

أجابت السيدة ليسي: إنه ليس سكناً مزعجاً لهذه الدرجة.

فاستدرك بوارو بسرعة: نعم، نعم. بل على العكس، إنه مريح جداً، كما أن التدفئة المركزية والماء الساخن عندكم من الأمور العظيمة.

- لقد أنفقنا الكثير لنجعله مريحاً للسكن. بعنا قطعة أرض جاهزة للاستصلاح (هكذا يسمونها، أليس كذلك؟) وكانت بعيدة عن المنزل في الجانب الآخر من الحديقة لحسن الحظ. لقد كانت في الحقيقة قطعة أرض لا تسرّ الناظر، ولكننا حصلنا على ثمن جيد لها أعاننا على إجراء كل التحسينات الممكنة في المنزل.

- وماذا بشأن الخدمة يا سيدتي؟

- آه، هذا أسهل مما تتوقع. لا يمكننا أن نتوقع الخدمة والرعاية التي كانت في السابق بالطبع، ولكن لدينا بعض الأشخاص الذين يأتون من القرية، إذ تأتي امرأتان صباحاً لتحضير الغداء وغسل الأواني، وتأتي أخريات للخدمة مساءً. توجد الكثيرات ممن يرغبن في القدوم للعمل بضع ساعات كل يوم. أما عيد الميلاد فمن حسن حظنا أن عزيزتي السيدة روس تأتي في كل عيد ميلاد، وهي طباحة رائعة من الدرجة الأولى تقاعدت قبل نحو عشر سنوات ولكنها تأتي للمساعدة في المناسبات. كما يوجد عندنا العزيز بيفيريل أيضاً.

- النادل؟

- نعم، لقد تقاعد أيضاً، وهو يسكن في المنزل الصغير قرب الكوخ، ولكنه متعلق بنا ويصرّ على الحضور لخدمتنا في أعياد الميلاد. إنني أخاف فعلاً يا سيد بوارو أن يصيبه مكروه، فهو طاعن في السن وضعيف لدرجة أشعر معها بأنه لو حمل حملاً ثقيلاً فسيقعه، ولذلك فمن المؤلم مراقبته، خاصة وأن قلبه ليس على ما يرام وأخشى عليه من الإجهاد. ولكنني سأجرح مشاعره بعنف لو منعه من أن يأتي لخدمتنا. إنه يتنحى ويتأفف مدمماً عندما يرى

حال أواني الشرب الفضية، وما إن يقضي ثلاثة أيام هنا حتى ترى تلك الأواني وقد عادت رائعة من جديد. إنه صديق مخلص عزيز.

ابتسمت في وجه بوارو وقالت: عيد ميلاد أبيض أيضاً! انظر، لقد بدأ الثلج بالتساقط، وها هم الأطفال قادمون. ينبغي أن أعرفك بهم يا سيد بوارو.

قدمت السيدة ليسي السيد بوارو إلى الغلامين، أولاً: كولين حفيدها التلميذ وصديقه مايكل، وهما فتیان لطيفان مؤدبان في الخامسة عشرة من عمرهما، أحدهما أسمر والثاني أشقر. ثم قدمته لابنة عمهما بريجيت ذات الشعر الأسود والعمر المماثل والحيوية المتدفقة.

ثم قالت السيدة ليسي: وهذه حفيدتي سارة.

نظر بوارو إلى سارة بشيء من الاهتمام. بدت فتاةً جذابةً إلى حد ما، وبدا طبعها جسوراً ميالاً إلى التحدي، ولكنها كانت تُظهر حباً حقيقياً لجدها.

- وهذا السيد لي ورتلي.

كان ديزموند لي ورتلي يرتدي سترة كتلك التي يرتديها صيادو السمك وبنطالاً ضيقاً من الجينز الأسود، وكان شعره طويلاً ولا يمكن الجزم فيما إذا كان قد حلق ذقنه ذلك الصباح. وعلى العكس منه كان الشاب الذي قدمته السيدة ليسي بعده، ديفيد ديلواين، جاداً وهادئاً بابتسامته العذبة، ومدمناً - كما هو واضح - على الماء والصابون. وكان في المجموعة عضو آخر، فتاة جذابة ذات نظرات

عميقة قُدِّمت على أنها ديانا ميلتون.

بعد التعارف قُدِّم لهم الشاي مع وجبة ضخمة من الكعك والحلوى والشطائر، وقد تمتع الصغار بحفلة الشاي تلك. أما الكولونيل ليسي فقد انضمَّ في النهاية معلِّقاً بنبرة غير ذات معنى: الشاي... نعم، أريد شايًا.

استلم كوبه من يد زوجته وتناول قطعتي كعك، ثم ألقى نظرة مقتِّ على ديزموند لي ورتلي قبل أن يجلس في أبعاد مقعد عنه.

كان الكولونيل رجلاً ضخماً كث الحاجبين ذا وجه أحمر لَوَّحته الشمس، وكان يمكن لمن يراه أن يخطئ فيحسبه مزارعاً لا مالكاً لهذا المكان كله.

قال الكولونيل: لقد بدأ الثلج بالهطول، سيكون عيد ميلاد أبيض. وانفضَّ الجمع بعد جلسة الشاي.

قالت السيدة ليسي لبوارو: أظن أنهم ذهبوا للعب بمسجلاتهم الآن، إنهم مغرَمون بالألعاب التقنية، وهم فخورون بامتلاكها.

ثم نظرت بدلال إلى حفيدها وهو يغادر الغرفة. ولكن الغلامين وبريجيت اختاروا الذهاب إلى البحيرة ليروا إن كان الثلج هناك قد تجمَّع بما يسمح بالترليج.

قال كولين: أعتقد أنه كان بإمكاننا التزليج هذا الصباح، ولكن هودغينز العجوز لم يسمح لنا، فهو شديد الحذر كعادته دائماً.

وقالت ديانا ميلتون برقة: لنتمشَّ قليلاً يا ديفيد.

تردد ديفيد ديلاوين للحظات وهو ينظر إلى سارة ذات الشعر الأحمر وهي تقف مع ديزموند لي ورتلي ويدها على ذراعه وعيناها معلقتان بوجهه، ثم قال أخيراً: حسناً، لتتمشّ.

وسرعان ما وضعت ديانا يدها حول ذراعه ودارا نحو باب الحديقة. ثم قالت سارة بدورها: هل نخرج نحن أيضاً يا ديزموند؟ فالجو خائق جداً في المنزل.

أجاب ديزموند: ما لي وللمشي؟ سأحضر سيارتي لنذهب إلى مقهى سبيكلربور.

ترددت سارة قليلاً قبل أن تقول: لنذهب إلى مقهى وايت هارت في سوق ليدبوري، فهو أفضل.

كان في نفس سارة أشمئزاز غريزي من ارتياد مقهى سبيكلربور المحلي مع ديزموند، وإن لم تكن لتقول ذلك مهما كلف الأمر، فلم يكن ارتياد تلك الحانة من تقاليد كينغزليسي، ولم يحدث لנסاء العزبة أن ذهبن إليها قط. وقد راود سارة شعورٌ غامضٌ بأن ذهابهما إليها سيكون بمثابة خذلان للكولونيل العجوز وزوجته (ولقد كان من شأن ديزموند -لو عرف ذلك- أن يقول: ولمَ لا؟)

في لحظة سخط شعرت سارة أن عليها أن تخبره بأسباب رفضها إزعاج العجوزين، فلا يمكن للمرء أن يزعم عجوزين غاليين كجدها وجدتها العزيزة «إيم» ما لم يكن ذلك ضرورياً، فقد كانا في غاية اللطف حقاً إذ سمحا لها بممارسة حياتها الخاصة وقبلا لها أن تعيش في تشيلسي كما تريد، حتى دون أن يفهما دوافعها. وقد كان هذا الموقف بتأثير من «إيم» بالطبع، إذ كان من شأن الجد أن يقيم الدنيا

ويقعدها لو تُرك الأمر إليه.

لم تكن عند سارة أية أوهام فيما يخص موقفَ جدها. كانت دعوة ديزموند إلى كينغزليسي من عمل إيم لا من عمله، لقد كانت إيم عريضة غالية دائماً.

وبينما كان ديزموند يحضر سيارته أطلت سارة ثانيةً على غرفة الجلوس وقالت: نحن ذاهبان إلى سوق ليدبوري، إلى مقهى وايت هارت.

كان في صوتها أثر قليل من التحدي، ولكن لم يبدُ أن السيدة انتبهت إليه عندما أجابت: حسناً يا عزيزتي، هذا رائع. وها هما ديفيد وديانا قد خرجا معاً يتمشيان. كم يسعدني ذلك! لقد كانت دعوة ديانا إلى هنا فكرة بارعة مني في الواقع، فمن المحزن أن تترمل وهي شابة لم تتجاوز الثانية والعشرين، وإني لأرجو أن تتزوج ثانية وبسرعة!

نظرت سارة إليها بحدة وقالت: ما الذي تخططين له يا جدتي؟

أجابت السيدة ليسي بمرح: إنها خطتي الصغيرة، فأنا أعتقد أن ديانا مناسبة تماماً لديفيد. إنني أدرك -بالطبع- أنه كان متعلقاً بك أنت يا عزيزتي، ولكنك لم تعودتي بحاجة إليه. لا أريده أن يبقى حزيناً، وأعتقد أن ديانا تناسبه تماماً.

قالت سارة: يا لك من خاطبة!

فأجابتها: أعلم ذلك، العجائزُ كلهن هكذا، وأرى أن ديانا قد أصبحت متحمسة له بالفعل. ألا تشعرين أنها ستكون مناسبة له؟

قالت سارة: لا أظن، فأنا أشعر أن ديانا انفعالية تماماً وجادة كثيراً، وأظن أن ديفيد سيحدها مملّة جداً بعد الزواج.

قالت ليسي: حسناً، سنرى. ولكنك لا تريدينه أنت، أليس كذلك يا عزيزتي؟

أجابت سارة بسرعة: "بالتأكيد". ثم أضافت فجأة: أنت تحبين ديزموند يا جدتي... أليس كذلك؟

- أنا متأكدة أنه لطيف جداً.

- لكن جدي لا يحبه.

- لا يمكنك توقع ذلك منه، ولكن يمكنني القول إنه سيغير رأيه بمرور الزمن. أرجو أن لا تضغطي عليه يا عزيزتي، فكبار السن بطيئون جداً في تغيير قناعاتهم وجدك رجلٌ عنيد.

- لا يهمني ما يقوله جدي أو ما يفكر فيه، وسأتزوج ديزموند وقتما أشاء!

- أعرف ذلك يا عزيزتي. ولكن حاولي معالجة الأمر بواقعية، فبوسع جدك أن يثير كثيراً من المتاعب كما تعلمين، وأنت ما تزالين دون سن الرشد. بعد عام واحد تستطيعين التصرف كما يحلو لك، وأتوقع أن يغيّر هوراس موقفه قبل مرور هذا الوقت.

ألقت سارة ذراعيها حول عنق جدتها وقبلتها بشغف وهي تقول: إنك تقفين معي يا حبيبتي، أليس كذلك؟

- أنا أريدك أن تكوني سعيدة. آه، ها هو فتاك قد أحضر سيارته.

أترين؟ إنني أحب هذه البنائيل الضيقة التي يلبسها الشباب هذه الأيام فهي تظهرهم أنيقين جداً، ولو أنها تضحّم الحنّف طبعاً!

فكرت سارة بأن ديزموند أحنف فعلاً وأن ساقيه ملتويتان إلى الداخل. غريبٌ أنها لم تنتبه إلى هذا من قبل!

ودّعها السيدة ليسي قائلة: اذهبي وتمتعي بوقتك يا عزيزتي.

راقتها وهي تتوجه إلى السيارة، ثم تذكرت ضيفها الأجنبي فذهبت إلى المكتبة بحثاً عنه. وهناك وجدت هيركيول بوارو مستمتعاً بإغفاءة قصيرة، فابتسمت ومضت عبر الصالة إلى المطبخ للتداول مع السيدة روس.

* * *

عند السيارة ابتدر ديزموند سارة بقوله: بسرعة يا عزيزتي. هل غضب أهلك لأنك ستذهبين معي إلى المقهى؟ إنهم ينتمون إلى عصور قديمة!

قالت سارة بحدّة وهي تدخل السيارة: بل هم لم يقولوا شيئاً.

- وما سبب وجود هذا الغريب هنا؟ أليس من رجال التحري؟
عن أي شيء جاء يتحرى هنا؟

- إنه لم يأتِ لأسباب مهنية، بل إن جدتي إدوينا موركام هي التي طلبت منا استضافته، وأظن أنه تقاعد من مهنته منذ زمن طويل.

- إنه يبدو مثل حصانٍ عربيٍّ عجوزٍ عليل!

- أظنه أراد أن يشهد حفل عيد ميلاد إنكليزي بالطريقة التقليدية.

ضحك ديزموند باز دراء قائلاً: يوجد الكثير مما يثير الغثيان في مثل هذا العيد. لا أدري كيف تتحملينه!

تقبضت ذفن سارة العدوانية وهي تقول بتحد: إنني أتمتع به.
- غير معقول يا عزيزتي. دعينا نوقف هذا العبث غداً ونذهب إلى سكاربورو أو أي مكان آخر.

- لا يمكنني فعل ذلك.

- ولمَ لا؟

- لأنه يجرح مشاعرهم.

- هذا هراء! إنك لا تلتفتين إلى هذه المشاعر الطفولية السخيفة.

- ربما لم يكن الأمر كذلك، ولكن...

سكتت سارة، فقد أدركت - وهي تشعر بالذنب - أنها طالما انتظرت بشوق حفلة عيد الميلاد، ولكن الاعتراف بذلك لديزموند كان محرراً لها، فهو لم يكن ينتظر منها أن تتمتع بعيد الميلاد وبالحيوة العائلية. تمتت للحظة لو أن ديزموند لم يأتِ هنا في عيد الميلاد، بل تمتت لو أنه لم يأتِ إلى هنا البتة. لقد كانت مقابلتها له في لندن أكثر متعة من مقابلته هنا في بيتها.

* * *

في هذه الأثناء كان الغلامان ومعهما بريجيت عائدين من البحيرة وهم في نقاش حاد حول مشكلات التزلج. كانت قطع الثلج تتساقط، وكان يمكن للمرء أن يتنبأ - بمجرد النظر إلى السماء - بقرب

حدوث عاصفة ثلجية قوية.

قال كولين: سيستمر هطول الثلج طول الليل، وأراهن أنه سيكون بارتفاع قدمين مع صباح العيد.

كان هذا التوقع مفرحاً، فقال مايكل: فلنصنع رجل ثلج إذن.

علق كولين بقوله: يا إلهي! إنني لم أصنع رجل ثلج منذ أمد طويل، ربما منذ كنت في الرابعة من عمري.

قالت بريجيت: لا أظن أن صنعه سهل، أعني أنه ينبغي معرفة الطريقة.

قال كولين: يمكننا أن نصنع تمثالاً للسيد بوارو ونضع له شارباً كبيراً أسود. يوجد شاربٌ في صندوق الزينة.

فكر مايكل قليلاً ثم قال: لا أدري كيف أصبح السيد بوارو محققاً، فأنا لا أظنه قادراً أبداً على التخفي!

أضافت بريجيت: صحيح، ولا يمكن للمرء أن يتخيله راكضاً بمنظاره باحثاً عن طرف خيط أو متفحصاً آثار أقدام.

قال كولين: عندي فكرة. لماذا لا نرتب له تمثيلية؟

بريجيت: ماذا تعني بتمثيلية؟

كولين: نرتب له جريمة قتل.

بريجيت: فكرة رائعة! أتعني وضع جثة في الثلج أو شيئاً كهذا؟

كولين: نعم، إن الأمر سيسليّه.

قهقهت بريجيت قائلة: أشك في قدرتي على تمثيل هذه المزحة الثقيلة.

كولين: إذا استمر الثلج في السقوط فستكون لدينا خلفية مثالية للمشهد، جثة وآثار أقدام. سيكون علينا الإعداد لذلك بعناية، وعلينا سرقة أحد خناجر جدي وصنع بعض الدم.

توقفوا قليلاً، ثم دخلوا في نقاش مثير دون انتباه إلى الثلج الذي تسارع هطوله.

كولين: توجد في غرفة الدراسة القديمة علبة أصباغ، ويمكننا أن نمزج بعضها بلون الدم. أظن أنه الأرجواني مع القرمزي.

بريجيت: أظن أن الأرجواني مع القرمزي زائد الحمرة، ينبغي أن يميل اللون نحو البني قليلاً.

مايكل: ومن سيكون الجثة؟

بريجيت: أنا سأكون الجثة.

كولين: لا، اسمعي، إنها فكرتي.

بريجيت: لا، لا، بل أنا، فالجثة ينبغي أن تكون جثة فتاة، إنها أكثر إثارة. فتاة جميلة تتمدد ميتة على الثلج.

صاح مايكل ساخراً: فتاة جميلة؟ آهاه!

بريجيت: ولي شعر أسود أيضاً.

مايكل: وما علاقة الشعر بهذا الأمر؟

بريجيت: إنه يبدو أكثر وضوحاً وقوةً فوق الثلج، وسأرتدي
سترتي الحمراء أيضاً.

مايكل: السترة الحمراء لن تظهر عليها آثار الدماء.

بريجيت: ولكنها ستبدو مثيرة جداً فوق الثلج، كما أن أكمامها
بيضاء ويمكن تلطيخها بالدماء. أليست تلك فكرة رائعة؟ ولكن هل
تظنان أنها ستنظلي عليه؟

مايكل: نعم، إذا أحسنا إعدادها. سنضع أثر أقدامك على الثلج
وآثار أقدام شخص آخر يذهب إلى الجثة ويعود من عندها، آثار أقدام
رجل بالطبع. وسيحرص السيد بوارو على عدم إفساد آثار الأقدام،
وبالتالي فلن يعلم أنك لست ميتة حقاً. ولكن ألا تعتقدان...؟

توقف مايكل وقد داهمته فكرة مفاجئة بينما تطلع إليه الآخرون،
ثم أكمل: ألا تعتقدان أن اللعبة ستزعجه؟

بريجيت: لا أعتقد، بل أنا متأكدة أنه سيفهم أننا ما قمنا بها إلا
لتسليته، أي من قبيل أنشطة العيد.

فكر كولين قليلاً ثم قال: أظن أن علينا أن لا نصنع ذلك يوم
العيد، فهذه المزحة لن تعجب جدي كثيراً.

بريجيت: في اليوم الثاني إذن، «يوم الإهداء»؟

مايكل: نعم، سيكون «يوم الإهداء» مناسباً.

بريجيت: وهذا سيعطينا مزيداً من الوقت أيضاً، فلدينا الكثير
مما ينبغي إعداده. لندخل الآن ونلق نظرة على مستلزمات التمثيلية.

وأسرعوا بدخول المنزل.

- ٣ -

كان المساء حافلاً، فقد أحضر نبات الإيلكس بكميات كبيرة
وُنصبت شجرة الميلاد في زاوية غرفة الطعام وشرع الجميع بتزيينها.
تمتم ديزموند في أذن سارة بسخرية: لم أتخيل أن عادات بالية
كهذه ما زالت مستمرة.

أجابته مدافعة عن تقاليدها: لقد اعتدنا صنعها في العيد.

- يا للسبب الوجيه!

- آه، لا تكن مزعجاً، إنه أمر ممتع.

- عزيزتي سارة، لا أكاد أصدق!

- حسناً، ربما لا يكون الأمر هكذا بالضبط، ولكنني أحبها
لسبب ما.

سألت السيدة ليسي وقد بلغت الساعة الثانية عشرة إلا ثلاثاً:
لقد حان وقت النوم، أليس كذلك؟ من يريد القيام مبكراً في الغد
لفتح الجوارب المحشوة بهدايا العيد؟

أجاب ديزموند: لست أنا، تعالي يا سارة.

أمسك بيدها وقادها إلى المكتبة حيث جهاز التسجيل وهو
يردد: لكل شيء حدود! الجوارب المحشوة بهدايا العيد!!

قلت سارة: نعم، لِمَ لا؟

أما أغلب أفراد المجموعة فقد تهيؤوا للذهاب إلى النوم ترافقهم ضحكاتهم وأصواتهم العالية، ثم تلاشت ضحكاتهم وهم يتعدون.

قالت السيدة ليسي: الصغار يحبون هذا التقليد.

ردّ زوجها قائلاً: ولكن سارة وصاحبها لا يحبانه.

- أعتقد أنك مخطئ في هذه النقطة يا عزيزي، فسارة تحبه ولكنها لا ترغب في الاعتراف.

- ما أشد حيرتي من اهتمامها برأي هذا الفتى!

قالت السيدة ليسي: "إنها ما تزال صغيرة". ثم التفتت إلى بوارو وسألته: سيد بوارو، هل ستنام؟ أتمنى لك ليلة سعيدة ونوماً هائئاً.

قال بوارو: وأنت يا سيدتي، أأست ذاهبة إلى النوم؟

- ليس الآن، عليّ أن أملأ جوارب الصغار بالهدايا. صحيح أنهم لم يعودوا أطفالاً، ولكنهم يحبون هذا التقليد. إننا نضع لهم أشياء صغيرة مضحكة تثير لديهم كثيراً من المتعة.

بوارو: أهنتك يا سيدتي، فأنت تُجهدين نفسك لتجعلني البيت سعيداً في العيد.

وفيما انصرف بوارو علّق الكولونيل ليسي بقوله: ها... يا له من رجل منمّق الكلام! لكنه يحترمك.

دخل هيركيول بوارو غرفة نومه الفسيحة المزودة بالتدفئة، وبينما كان يتجه إلى سريره الضخم لاحظ ظرفاً على الوسادة. فتح الظرف وأخرج منه قصاصة ورق عليها رسالة كتبت باضطراب

وبأحرف كبيرة: "لا تأكل شيئاً من كعكة الخوخ... التوقيع: شخصٌ يريد لك الخير".

حدق هيركيول بوارو بالورقة وقد ارتفع حاجباه وهو يتمتم:
غز غريب، ومفاجئ تماماً!

-٤-

في الثانية ظهراً بدأت وليمة العيد، وكانت احتفالاً حقيقياً. تعالت طقطقة جذوع الشجر الضخمة في المدفأة الواسعة، وتعالى فوقها لغط الألسنة التي كانت تتكلم في وقت واحد، وشُرب حساء المحار كله وجيء بديكين روميين ضخمين فعادا إلى المطبخ هيكلين من العظم... والآن حانت اللحظة الحاسمة، وتهادت كعكة العيد مسجأةً بجلال تنتظرُ إلقاء النظرة الأخيرة قبل دفنها! ولم يسمح بيفيريل العجوز الذي ترتعش يداه وركبته تحت وطأة ثمانين عاماً لأحد سواه بأن يحملها، تاركاً السيدة ليسي تجلس وهي تضغط على كفيها خوفاً وقلقاً، إذ كانت على يقين من أن بيفيريل سيقع ميتاً في أحد أعياد الميلاد. لم يكن أمامها سوى خيارين اثنين: إما أن تخاطر بتركه يقع ميتاً يوماً ما، أو تمنعه من العمل وتؤدي بذلك مشاعره لدرجة تجعله يفضل الموت على الحياة. وقد آثرت الخيار الأول حتى الآن.

رقدت الكعكة بسلام على طبق فضي مثل كرة قدم ضخمة وقد غُرز فيها عرق من نبتة الإيلكس كراية النصر، وارتفعت حولها الشموع بلهبها المتموج، وتعالت صيحات الفرح والاستحسان.

استطاعت السيدة ليسي أن تقنع بيفيريل بوضع الكعكة أمامها

بحيث تتولى هي تقديمها بدل دورانه بها على الحضور حول الطاولة،
وتنفس الصعداء عندما استقرت الكعكة سليمة أمامها. وسرعان ما
توزعت الأطباق فيما كان لهب الشموع يلوّح أطراف الكعكة.

صاحت بريجيت: تَمَنَّ أمنية يا سيد بوارو قبل أن تطفئ الشموع.
وأنت يا جدتي الغالية، بسرعة.

أسندت السيدة ليسي ظهرها إلى الخلف بارتياح، فقد نجحت
«عملية الكعكة» واستقرت أمام كل واحد حصته التي ما تزال النار
تلوّحها، وساد الصمت للحظة حول المائدة فيما كان الجميع يتمنون
أمنياتهم بعمق.

لم يكن أحدٌ لينتبه إلى التعبير الفضولي على وجه السيد بوارو
وهو يفحص حصته من الكعكة على طبقه، وتذكر التحذير: «لا تأكل
شيئاً من كعكة الخوخ». ماذا يعني هذا التحذير المشؤوم؟ ليس في
حصته من الكعكة ما يختلف عن حصص الآخرين! تناول ملعقته
وشوخته وهو يتنهد معترفاً لنفسه بارتباكه وحيرته، وهو الذي لا يحبّ
أبداً الاعتراف بالحيرة والارتباك.

- أتريد بعض الصلصة الجامدة يا سيد بوارو؟

تناول بوارو صلصة جامدة بامتنان.

قال الكولونيل ليسي: إن عيد الميلاد لا يأتي إلا مرة في كل
عام، والسيدة روس امرأة عظيمة وطباخة عظيمة أيضاً.

قال كولين وهو يضع قطعة كبيرة في فمه: حقاً إنها كذلك، إنها
كعكة خوخ رائعة، هممم!

هاجم هيركيول بوارو حصته من الكعكة بلطف ولكن بنشاط. تناول لقمة أولى فكانت لذيذة، ثم تناول لقمة أخرى، ولكن شيئاً ما رنَّ على طبقه. فحصه بالشوكة تساعده في ذلك بريجيت الجالسة عن يساره.

قالت بريجيت: حصلت على شيء يا سيد بوارو. ترى ما هو؟

عزل بوارو جسماً فضياً صغيراً من الحلوى العالقة به، فهتفت بريجيت مبتهجة: آه، إنه «زرّ العازب»! زر العازب من نصيب السيد بوارو!

غمس هيركيول بوارو الزرّ الفضي الصغير في كأس الماء قرب طبقه ونظفه مما علق به قائلاً: إنه رائع جداً!

وتبرع كولین بالشرح قائلاً: هذا يعني أنك ستبقى عازباً يا سيد بوارو.

قال بوارو: هذا طبيعي، فقد بلغت هذه السن المتقدمة وأنا عازب، وما أظنني سأغير هذا الوضع الآن.

ردّ مايكل قائلاً: لا تيأس، فقد قرأت في الصحيفة أن رجلاً في الخامسة والتسعين تزوج فتاة في الثانية والعشرين من عمرها.

قال بوارو: هذا تشجيعٌ جيد.

فجأة هتف السيد ليسي وقد احمرّ وجهه وامتدت يده إلى فمه: ما هذا يا إيم؟ كيف تدعين الطاهية تضع زجاجاً في الكعكة؟!

صاحت السيدة ليسي باستغراب: "زجاج؟!" فيما كان الكولونيل

يخرج من فمه القطعة التي أزعجته مدمدماً: كادت تكسر سني، ولو ابتلعها لسببت لي التهاباً في الزائدة.

أدخل القطعة في كأس الماء ونظفها ثم نظر إليها وهتف:
يا إلهي! حجرٌ أحمر من أحجار الحليّ الزائفة.

- هل يمكن أن أراه؟

مد السيد بوارو يده برشاقة فوق الجالسين وأخذ الحجر من الكولونيل ليسي وفحصه بدقة. كان حجراً ضخماً أحمر كما وصفه المضيف، بلون الياقوت.

تلاّأت الأضواء من جنباته عندما قلبه بوارو، وفجأة ترحح أحد الكراسي حول المائدة.

صاح مايكل: آه، الأغرب أن يكون حجراً حقيقياً.

بريجيت: ربما كان حقيقياً.

مايكل: لا تكوني حمقاء يا بريجيت، فياقوتة بهذا الحجم تساوي آلاف الجنيهات. أليس كذلك يا سيد بوارو؟

بوارو: بلى، بالتأكيد.

قالت السيدة ليسي: ولكنني لا أفهم كيف وصل هذا الحجر إلى الكعكة.

قال كولين وقد ألهاه ما وجدته في لقمته: آه، الخنزير من نصيبي!
هذا ليس عدلاً.

بدأت بريجيت تهتف على الفور: الخنزير من نصيب كولين،

فكولين هو الخنزير الشره إذن.

قالت ديانا بصوت عال: الخاتم من نصيبي.

مايكل: جيد، هذا يعني أنك ستزوجين قبلنا جميعاً.

بريجيت: وأنا حصلت على الكشتبان.

أنشد الصبيان: ستصبح بريجيت عجوزاً عانساً، ستصبح
عجوزاً عانساً.

سأل ديفيد: ومن منكم وجد النقود؟ في الكعكة قطعة نقدية
بعشرة شلنات ذهبية كما أخبرتني السيدة روس. من وجدها؟

قال ديزموند: أحسب أنني أنا صاحب الحظ.

همس الكولونيل ليسي بصوت سمعه الشخصان الجالسان إلى
جواره: نعم، ستكون محظوظاً.

قال ديفيد: "وأنا وجدت خاتماً أيضاً". ثم أضاف وهو ينظر إلى
ديانا: يا لها من مصادفة، أليس كذلك؟

واستمر الضحك، ولم ينتبه أحد إلى السيد بوارو الذي دس
الحجر الأحمر في جيبه بلامبالاة وكأنه يفكر في شيء آخر.

* * *

تتابعت الفطائر والحلوى بعد كعكة العيد، ثم نهض الكبار
إلى غرفهم للقبيلولة قبل جلسة الشاي حيث تُضاء شجرة العيد. أما
بوارو فلم يتوجه إلى القبيلولة بل توجه إلى المطبخ الضخم ذي الطراز

القديم حيث أجال نظره متسائلاً: هل لي أن أهنيء الطباخة على هذه الوجبة الرائعة التي تناولناها؟

مضت دقيقة قبل أن تأتي السيدة روس بوقار لرؤيته، وكانت ذات جسم ضخم مفتول كأنه جسم دوقة في عرض مسرحي. وفي غرفة الغسيل كانت امرأتان هزيلتان تغسلان الأواني، بينما تنتقل امرأة أخرى ناعمة الشعر بين غرفة الغسيل والمطبخ. وبدا واضحاً أن النسوة الثلاث كنّ مجرد توابع وأن السيدة روس هي الأميرة الفعلية لجناح المطبخ. قالت السيدة روس بتهذيب: يسرني أن الطعام قد أعجبك يا سيدي.

صاح بوارو: وأيَّ إعجاب!

ثم رفع يده إلى شفثيه في إشارة أجنبية متقنة وقبّلها ونفخ القبلة إلى السقف قائلاً: إنك عبقرية يا سيدة روس. لم أتذوق أبداً وجبة كهذه، لقد كان حساء المحار رائعاً وحشوة الكستناء في الديك الرومي شيئاً فريداً لم أجربه من قبل.

أجابت السيدة روس بتهذيبها المعتاد: من المدهش أن أسمع ذلك منك يا سيدي، فقد أعددت تلك الحشوة بطريقة خاصة علمني إياها طبّاح نمساوي عملت معه منذ زمن بعيد، أما ما تبقى فكله أُعدّ بالطريقة الإنكليزية البحتة.

قال بوارو: وهل يوجد أفضل من الطريقة الإنكليزية؟

- هذا من لطفك يا سيدي. ربما كنت تفضل الأسلوب الأوروبي لأنك أجنبيّ، وأنا أستطيع أن أطبخ الأكلات الأوروبية أيضاً.

- أنا واثق من قدرتك على إعداد أي شيء يا سيدة روس،

ولكني أقول لك : إن الطبخ الإنكليزي (وأقصد الإنكليزي الحقيقي ، لا ذلك الذي يقدّم في فنادق ومطاعم الدرجة الثانية) محترم تماماً من قبل خبراء الطبخ في أوروبا ، وأعتقد أن بعثة خاصة قد أوفدت إلى لندن في بداية القرن الثامن عشر فكتبت تقريراً أرسلته إلى فرنسا يتحدث عن روائح الكعكات الإنكليزية. وجاء في التقرير ما نصه : «ليس لدينا في فرنسا مثل هذه الكعكات ، وإنّ تذوّق التنوع والجودة في الكعكات الإنكليزية يستحق وحده القيام برحلة إلى لندن».

واندفع بوارو يلقي بشوة وحماسة قصيدته : وفوق كل الكعكات تأتي كعكة الخوخ التي يقدمها الإنكليز في عيد الميلاد كتلك التي أكلناها اليوم. لقد صُنعت في البيت ولم تُستَر من السوق ، أليس كذلك؟

- بلى يا سيدي. إنها من صناعي ، وبالطريقة نفسها التي أصنعها بها منذ سنوات عديدة. عندما جئت إلى هنا قالت السيدة ليسي إنها طلبت كعكة جاهزة من أحد متاجر لندن لتوفر عليّ التعب ، فقلت لها: لا يا سيدتي ، هذا لطف منك ، ولكن كعكة السوق لا يمكن أن تعادل كعكة العيد التي نصنعها في البيت.

ومضت السيدة روس تقترب من موضوعها المفضل بحماسة متزايدة لفنان قدير : لعلمك يا سيدي ، لقد أعددتُ هذه الكعكة بأسرع مما ينبغي عادة. فكعكة عيد الميلاد ينبغي أن تُحضّر قبل بضعة أسابيع وتُترك ، وكلما تُركت أكثر (ضمن المعقول) كان أفضل. وكان من المفترض أن يكون الأمر كذلك هذا العام ، ولكن هذه الكعكة لم تُحضّر إلا قبل ثلاثة أيام ، قبل يوم من حضورك يا سيدي. ومع

ذلك فقد حافظت على التقليد القديم، حيث كان على كل فرد في البيت أن يأتي إلى المطبخ ليمزج خليط الكعك ليلاً ويتمنى أمنية. إنه تقليد قديم -يا سيدي- وقد حافظت عليه دوماً.

قال بوارو: هذا ممتع ومثير للاهتمام... إذن فقد أتى الجميع إلى المطبخ؟

- نعم يا سيدي، الشابان الصغيران والأنسة بريجيت، والسيد القادم من لندن وأخته، والسيد ديفيد والأنسة ديانا، كلٌ منهم مزج خليط الكعكة قليلاً.

- كم كعكة صنعتِ يا سيدتي؟ هذه فقط؟

- لا يا سيدي، لقد صنعتُ أربعاً: اثنتين كبيرتين، واثنتين أصغر منهما. الكعكة الكبيرة الأخرى كنت أنوي تقديمها في عيد رأس السنة، أما الكعكتان الصغيرتان فقد أعددتهما للكولونيل وللسيدة ليسي عندما يكونان وحدهما معاً بغياب بقية أفراد العائلة.

- نعم، نعم.

- وفي الحقيقة، فإن الكعكة التي أكلتموها على الغداء اليوم كانت الكعكة الخطأ.

- الكعكة الخطأ؟ كيف؟

- حسناً، لدينا -يا سيدي- قالب صيني ضخم لكعكة العيد يسمح بفجوات في الكعكة لوضع نبات الإيلكس، وعادة ما نسكب كعكة عيد الميلاد فيه. ولكن حدث في هذا الصباح حادث مؤسف

جداً، إذ جاءت أني لتنزل القالب عن الرف فانزلت قدمها فسقط القالب وانكسر. ولم أتمكن -طبعاً- من تقديم الكعكة التي كانت بداخله، فربما كان فيها بعض شظايا القالب. لذلك اضطررنا إلى تقديم الكعكة الأخرى، كعكة عيد رأس السنة التي كانت في طبق منبسط. ورغم أن انتفاخ الكعكة كان جيداً إلا أنها لم تكن كاملة الزخرفة والزينة كما ينبغي لقالب عيد الميلاد. إنني لا أدري فعلاً أين يمكننا العثور على قالب مماثل، فهم لا يصنعون أشياء بهذا الحجم في هذه الأيام. كل الأواني صغيرة جداً بحيث لا يمكنك شراء طبق يتسع لثمانى بيضات أو عشر للإفطار. لم تعد الأمور كما كانت من قبل!

قال بوارو: هذا صحيح، ولكن اليوم يختلف، فقد كان يوم عيد الميلاد هذا واحداً من الأيام الخوالي، أليس كذلك؟

تنهدت السيدة روس قائلة: يسرني أنك تقول ذلك يا سيدي، ولكني لا أجد اليوم المساعدة التي كنت أحصل عليها من قبل، أقصد مساعدة فتيات ذوات خبرة، ففتيات اليوم (وخفضت صوتها قليلاً وهي تقول ذلك) لسنَ مدربات رغم طيبتهن واستعدادهن للتعلم، هل تفهم ما أعنيه؟

- نعم، لقد تغير الزمن. أنا أيضاً أحزن لذلك أحياناً.

- إن هذا البيت كبير جداً بالنسبة لسيدتي والكلونيل، وسيدتي تعرف ذلك. وحياتهما فيه لم تعد كالسابق، إذ يعيشان في زاوية واحدة منه، والحيأة لا تدبّ في هذا البيت إلا في أعياد الميلاد حيث تجتمع العائلة كلها.

- أعتقد أنها المرة الأولى التي يأتي فيها السيد لي ورتلي وشقيقته إلى هنا؟

تسللت نبرة تحفظ بسيط إلى صوت السيدة روس وهي تجيب:
نعم يا سيدي، إنه شاب لطيف جداً ولكن... لنقل: إنه يبدو غير مناسب للأنسة سارة حسب أفكارنا. ولكن، هناك في لندن، تختلف الاعتبارات! حسناً، من المؤسف أن أخته مريضة. لقد أجرت عملية فيما سمعت، وقد كانت صحتها جيدة في اليوم الأول لوصولها إلى هنا، ولكنها انتكست في ذلك اليوم الذي كنا نُعدّ فيه الكعكات فنُقلت إلى السرير وبقيت فيه منذ ذلك الحين. أظن أنها خرجت من المستشفى قبل أن تتعافى تماماً، فأطباء اليوم يخرجونك من المستشفى قبل أن تتمكن من الوقوف على قدميك. إن زوجة ابن أخي...

ومضت السيدة روس في حديث طويل مفعم بالحماسة عن العلاج في المستشفيات الذي تعرّض له أقرباؤها، مقارنةً بالعناية التي كانت تُبدل للمرضى في العهود الخالية.

واساها بوارو بما تيسر له من كلام ثم قال: بقي عليّ أن أشكرك على هذه الوجبة المتقنة الفاخرة، واسمحي لي بتعبير بسيط عن تقديري لهذا الجهد.

واندست ورقة مطوية من فئة الخمسة جنيهات في يدها، فقالت بطريقة روتينية: أرجوك يا سيدي، لا تفعل.

- إنني مصرّ، لا بد من ذلك.

قبلت السيدة روس المبلغ كما لو أنه حقها قائلة: حسناً يا سيدي، إنه لطف بالغ منك. أتمنى لك عيد ميلاد سعيداً وعماماً جديداً موفقاً.

- ٥ -

كانت نهاية العيد كنهاية كل أعياد الميلاد، فقد أضيئت شجرة الميلاد وجيء بعدها بعشاء خفيف بارد. وأخيراً توجه بوارو ومضيفه ومضيفته إلى النوم باكراً، فيما قالت السيدة ليسي: طابت ليلتك يا سيد بوارو، أرجو أن تكون قد تمتعت هنا.

- لقد كان يوماً رائعاً يا سيدتي.

- ولكنك تبدو مستغرقاً في تفكيرك؟

- إن الكعكة الإنكليزية هي ما أفكر فيه.

سألت السيدة ليسي بلطف: أكانت ثقيلة على معدتك؟

- لا، لا. إنني لا أفكر في قابليتها للهضم، بل أتأمل في أهميتها. إنها جزء من التقاليد فيما أرى.

- على كل حال طابت ليلتك، وأرجو أن لا تحلم كثيراً بكعك العيد وفضائله.

دمدم بوارو لنفسه وهو ينزع ملابسه: نعم، إن كعكة الخوخ تلك لمشكلة حقاً، ثمة شيء هنا لا أفهمه أبداً.

ثم هز رأسه بغیظ وقال: حسناً، سنرى.

ذهب بوارو إلى فراشه بعد إجراء بعض التحضيرات، ولكن

ليس بهدف النوم.

لم يؤتِ صبرُهُ ثمارَه إلا بعد ساعتين تقريباً، حيث فُتِح باب غرفته بهدوء، فابتسم لنفسه، لقد جرت الأمور كما توقع لها. وعاد بذاكرته إلى فنجان القهوة الذي قدمه إليه ديزموند لي ورتلي بكل لطف، وعندما أدار ديزموند ظهره وضع الفنجان على الطاولة لدقائق، ثم بدا أنه أخذه ثانية فيما كان ديزموند يشعر بالارتياح لرؤيته يشرب القهوة حتى آخر قطرة. ولكن ابتسامة صغيرة تراقصت على شارب بوارو عندما فكر بأن الشخص الذي يغط في سبات عميق هذه الليلة ليس هو بل شخص آخر. قال بوارو لنفسه: ديفيد ذلك الشاب اللطيف، قلق وحزين، ولن يؤذيه أن يغط في نوم عميق لليلة واحدة. ولكن لنرَ ما سيحدث الآن.

بقي هادئاً يتنفس بانتظام موحياً بين الفينة والأخرى بالشخير، ولكن بأضعف درجات الإيحاء. وتقدم الشخص إلى السرير وانحنى فوقه، وعندما اقتنع بنوم بوارو ذهب إلى طاولة الزينة وفتش بمساعدة مصباح صغير يحمله كل أمتعة بوارو المرتبة بعناية فوقها. امتدت الأصابع إلى المحفظة ثم أدراج الطاولة، ثم جيوب ثياب بوارو، وأخيراً تقدم الزائر من السرير ودس يده بحذر شديد تحت الوسادة. ثم سحب يده ووقف دقيقة أو دقيقتين كما لو أنه لا يعرف ما الذي ينبغي عليه فعله الآن. دار في الغرفة باحثاً داخل أواني الزينة، ثم دخل إلى حمام الغرفة ثم خرج منه، وبعدها خرج من الغرفة معبراً بهمهمة خافتة عن اشمئزازه.

حدّث بوارو نفسه من تحت أنفاسه: آه، لقد خاب أملك. نعم، خيبة أمل حقيقية! كيف يخيل إليك أن هيركيول بوارو يمكن

أن يخفي شيئاً ثم تجده أنت؟!
ثم أدار ظهره وأخذ إلى النوم.

* * *

صحا بوارو صباح اليوم التالي على دقات خفيفة على باب
غرفته.

- مَنْ هناك؟ ادخل، ادخل.

فُتِحَ الباب ووقف على عتبة كولين لاهثاً أحمر الوجه وخلفه
مايكل.

هتف كولين: سيد بوارو، سيد بوارو!

جلس بوارو في فراشه قائلاً: نعم، هل هو شاي الصباح؟ هذا
أنت يا كولين، ما الذي حدث؟

وقف كولين صامتاً للحظات وقد بدا أنه تحت وطأة شعور
جارف، ولكن ما أسكت كولين فعلاً كان منظر قلنسوة النوم التي
يرتديها هيركيول بوارو. وأخيراً استجمع كولين أنفاسه وقال: أظن
يا سيد بوارو... هل لك أن تساعدنا؟ لقد حدث شيء فظيع!

- حدث شيء؟ ما هو؟

- إنها... إنها بريجيت، ملقاة على الثلج في الخارج. إنها ترقد
دون حراك، ومن الأفضل أن تأتي وتنظر بنفسك. إنني أرتعد خوفاً،
ربما تكون قد ماتت!

قذف بوارو بأغطية سريره هاتفاً: ماذا؟ الآنسة بريجيت، ماتت!

- أظن... أظن أن أحداً قتلها، فهناك دم... أرجوك أن تأتي!
- بالتأكيد، سأتي فوراً.

أدخل بوارو قدميه في حُفّه وألقى معطفَ فراءٍ على كتفيه فوق
البيجاما وهو يقول: ها أنا ذا قادم، فوراً. هل أخبرتما الآخرين.

- لا، لم أخبر غيرك حتى الآن، فقد ظننت أن هذا أفضل،
كما أن جدي وجدتي لم يستيقظا بعد. إن الخدم يحضرون الإفطار
في الأسفل ولكنني لم أخبر أحداً. إن بريجيت هناك في الجانب الآخر
لليبت، قرب العتبة وشبّاك المكتبة.

- حسناً، تقدّم وأرشدني إليها، سأتبعك.

دار كولن ليرشد بوارو مخفياً تكشيرة ابتهاج. نزلوا الدرج
وخرجوا من الباب الجانبي. كان صباحاً صافياً لم ترتفع شمسُهُ بعد،
وقد توقف الثلج عن التساقط، وإن يكن قد بدا واضحاً أنه تساقط
بكثافة طول الليل لينسج سجادة من الثلج الكثيف لم تفسدها بعدُ
أرجل العابرين أو حركة الحياة.

بدت الطبيعة في غاية النقاء والجمال، وأشار كولن بطريقة
درامية مؤثرة وهو يلهث: هناك، إنها هناك.

كان المنظر درامياً حقاً، فعلى بعد بضعة أمتار كانت بريجيت
ممدّدة على الثلج بسترتها الحمراء وقد التفّ شالٌ صوفي أبيض حول
كتفيها ملطّخاً باللون القرمزي. كان رأسها موجّهاً إلى الجهة الأخرى
وجهها مغطى بشعرها الطويل الأسود، فيما استقرت إحدى يديها
تحت جسمها واليد الأخرى ممدودة مطبقة الأصابع، ووسط البقع

القرمزية انتصب مقبض خنجر معقوف كان الكولونيل ليسبي قد عرضه على ضيوفه في الليلة الماضية.

- يا إلهي! كأنه مشهد مسرحي!

صدر من مايكل صوت ضحكة مكتومة، وسرعان ما تدخل كولين ليتدارك الموقف. قال كولين: نعم، يبدو الأمر غير حقيقي نوعاً ما. ولكن هل ترى آثار الأقدام؟ ألا ينبغي أن نحافظ عليها؟

- نعم، آثار الأقدام، ينبغي الحرص على عدم إفسادها.

- هذا رأيي أيضاً، ولذلك لم أسمح بحضور أحد قبلك إلى هنا، فأنت تعرف ما الذي ينبغي فعله.

- لا فرق، ولكن علينا أن نرى إن كانت ما تزال على قيد الحياة، أليس كذلك؟

- بلى، طبعاً، ولكننا اعتقدنا... أعني أننا لم نرغب في...

- نعم، لقد اتصفتما بالحصافة، فقد قرأتما القصص البوليسية وتعلمان أنه لا ينبغي لمس شيء في مسرح الجريمة وأن من الواجب ترك الجثة كما هي. ولكننا غير متأكدين حتى الآن إن كانت بريجيت جثة فعلاً، أليس كذلك؟ صحيح أن الاحتراس مطلوب ولكن الاعتبار الإنسانية تأتي أولاً، ويجب علينا أن نفكر بالطبيب قبل الشرطة، أليس كذلك؟

قال كولين وقد فوجئ قليلاً: بلى، بالطبع.

مايكل: لقد فكرنا أن من الأفضل أن نخبرك أنت أولاً.

بوارو: إذن قفا هنا بينما أذهب أنا من الجانب الآخر كيلا أفسد آثار الأقدام هذه. إنها آثار ممتازة وواضحة، ما رأيكما؟ آثار أقدام رجل وفتاة ذهباً إلى حيث ترقد بريجيت، ثم عاد الرجل دون الفتاة. قال كولين وهو يحبس أنفاسه: لا شك أنها آثار أقدام القاتل.

بوارو: إنها كذلك بالضبط. آثار أقدام طويلة رفيعة ذات نوع خاص من الأحذية. إنها آثار واضحة يسهل تمييزها، وستكون في غاية الأهمية.

في تلك اللحظة خرج ديزموند لي ورتلي وسارة من المنزل وانضموا إلى المجموعة. تساءل ديزموند بأسلوب مسرحي: ماذا تفعلون هنا بربكم؟ لقد رأيتمكم من نافذة غرفتي. ماذا هناك؟ يا إلهي! ما هذا؟ كأنها...

- بالضبط، كأنها جريمة قتل، أليس كذلك؟

شبهت سارة ونظرت بسرعة وارتياب إلى الصبيين.

قال ديزموند: هل تعلمون أن شخصاً ما قتل هذه الفتاة... ما اسمها؟ بريجيت؟ ومنذا يهمه قتلها؟ مستحيل!

قال بوارو: كثير من المستحيلات يحدث، خاصةً قبل الإفطار. هكذا يقول تراثكم: «سته مستحيلات تقع قبل الإفطار»! أرجو أن تنتظروا هنا جميعاً.

دار بوارو بحذر واقترب من بريجيت وانحنى للحظة فوق جسدها فيما كان كولين ومايكل يهتزان بضحكهما المكتوم، ودنت

سارة منهما وتمتت قائلة: ماذا فعلتما؟

همس كولين: هذه الشقية بريجيت، أليست رائعة؟ لم تأتِ بحركة!

همس مايكل: لم أرَ في حياتي أحداً أشبه بحال الميت من بريجيت.

نهض بوارو قائلاً: أمر فظيع!

بدأت في صوته عاطفة لم تكن من قبل. دار مايكل وكولين وقد اهتزّا طرباً، وتساءل مايكل بصوت منخفض: ماذا نفعل الآن؟

قال بوارو: ليس أمامنا ما نفعله سوى استدعاء الشرطة. هل يذهب أحدكم ليتصل بالشرطة أم تريدون أن أذهب أنا؟

قال كولين: حسناً، ما رأيك يا مايكل؟

مايكل: نعم، لقد انتهت اللعبة الآن.

ثم تقدم وهو يشعر -للمرة الأولى- بعدم الثقة بنفسه وقال: أنا آسفٌ جداً، أرجو أن لا تغضب، لقد كانت... حسناً، كانت نوعاً من نكات عيد الميلاد. لقد فكّرنا أن نمثل لك جريمة قتل.

- فكرتما أن تمثلا لي جريمة قتل؟ وهذا ال... وهذا ال... وهذا...

قاطعهم كولين شارحاً: إنه مجرد مشهد أعددناه لنسليكم به.

بوارو: آه، لقد فهمت. لقد أردتما أن تجعلاني مغفل الأول من نيسان (أبريل)، أليس كذلك؟ ولكن اليوم ليس الأول من نيسان،

إنه السادس والعشرون من كانون الأول (ديسمبر).

قال كولين: ربما لم يكن هذا مناسباً، ولكن... لا أظنك تغضب من ذلك يا سيد بوارو. هيا يا بريجيت، انهضي، لا شك أنك تجمّدت.

غير أن الجسم الملقى في الثلج لم يتحرك.

نظر بوارو إليهما بإمعان وقال: الغريب أنها لا تسمعك كما يبدو. أأنتما متأكدان أنها مجرد مزحة؟

أجاب كولين بامتعاض: طبعاً، إننا لم نقصد إيذاء أحد.

بوارو: فلماذا لا تنهض الآنسة بريجيت إذن؟

كولين: لا أرى سبباً لذلك.

صاحت سارة وقد نفذ صبرها: هيا يا بريجيت، قومي وكفك سخافة.

قال كولين بقلق: إننا آسفان جداً بالفعل ونعتذر بصدق يا سيد بوارو.

أجاب بوارو بنبرة خاصة: لا حاجة لاعتذاركما.

حدّق كولين قائلاً: ماذا تعني؟

ثم دار ثانية وصاح: بريجيت، بريجيت! ما الأمر؟ لماذا لا تنهض؟ لماذا تستمر متمددة هناك؟

أوماً بوارو لديموند: أنت يا سيد ورتلي، تعال هنا.

اقترب ديزموند منه فقال بوارو: افحص نبضها.

انحنى ديزموند وأمسك بمعصمها، ثم حدق إلى بوارو قائلاً:
لا نبض لها، نبضها متوقف. يا إلهي! إنها ميتة حقاً!

بوارو: نعم ميتة، لقد قلب أحدهم الملهة إلى مأساة!

ديزموند: أحدهم؟ مَنْ؟

بوارو: توجد هنا آثار أقدام ذهبت وعادت، وهذه الآثار تشبه
إلى حد بعيد الآثار التي تركتها قدمك وأنت قادم إلى هنا يا سيد
ورتلي.

صاح ديزموند: ماذا تعني؟ هل تتهمني؟ أنا؟ هل جنت؟!
لماذا عساني أقتل هذه الفتاة؟

بوارو: آه، لماذا؟ هذا ما يحيرني. دعنا نفكر.

انحنى بوارو فوق الفتاة وفتح بهدوء أصابع كفها المتصلبة،
فشهق ديزموند وهو يحدق إلى يدها غير مصدق ما يراه، فقد كانت
في قبضة يدها ياقوتة كبيرة.

صاح ديزموند: إنها تلك القطعة اللعينة التي كانت في الكعكة!

بوارو: أنت متأكد؟

قال ديزموند: "طبعاً، إنها هي بالتأكيد". وبحركة سريعة انحنى
وأخذ الحجر الأحمر من كف بريجيت.

قال بوارو مؤنباً: لا تفعل ذلك، فلا ينبغي العبث بأي شيء.

- أنا لم أعبث بالجثة، ولكن هذا الحجر دليل مهم وقد يضيع.

المهم الآن أن نحضر الشرطة في أقرب وقت، سأذهب حالاً وأتصل بهم.

ثم دار وركض بسرعة نحو البيت فيما تقدمت سارة من بوارو وقالت وقد شحب وجهها: إنني لا أفهم شيئاً، لا أفهم شيئاً!

ثم أمسكت بذراع بوارو قائلة: ماذا قصدت من... من قصة آثار الأقدام؟

قال بوارو: انظري بنفسك يا آنسة.

كانت الآثار الموصلة إلى الجثة ذهاباً وإياباً هي نفسها الآثار التي تركها ديزموند وهو يرافق بوارو إلى الجثة.

سارة: هل تعني أنه ديزموند؟ هراء!

وفجأة مزق السكون صوتُ سيارة مندفعة، والتفت بوارو وسارة معاً ليشاهدا سيارة تندفع بعنف في الطريق. وتمكنت سارة من ملاحظة أي سيارة كانت فصاحت قائلة: إنه ديزموند... هذه سيارة ديزموند. لا بد أنه ذهب لاستدعاء الشرطة بدلاً من أن يتصل بهم بالهاتف.

في تلك اللحظة خرجت ديانا من البيت وجاءت راكضة لتنضم إلى المجموعة وهي تسأل بأنفاس مقطوعة: ماذا حصل؟ لقد جاء ديزموند لتوه إلى البيت راكضاً، وقد ذكر شيئاً عن بريجيت وأنها قد قُتلت ثم هرع إلى الهاتف، ولكن الهاتف كان معطلاً فيما يبدو، فقد قال إنه لم يتلقَ أي رد مما حمله على القول بأن الأسلاك مقطوعة، وقد قال إن الطريقة الوحيدة للوصول إلى الشرطة هي في الذهاب بالسيارة إليهم. ولكن لماذا الشرطة؟

قام بوارو بإشارة من يده فهتفت ديانا وهي تحديق إليه:
بريجيت؟! ولكن بالتأكيد... أليست هذه مزحة من نوع ما؟ لقد
سمعت في الليلة الماضية شيئاً، وقد حسبت أن الأولاد كانوا
سيدبرون لعبة لك يا سيد بوارو.

قال بوارو: نعم، لقد كانت تلك هي الفكرة، تدير لعبة أُخدع
بها. على أي حال، تعالوا الآن إلى البيت جميعاً قبل أن نموت هنا
من البرد، فلا أرى ما يمكننا عمله قبل أن يأتي السيد ورتلي بالشرطة.
قال كولن: ولكن انتظر، لا يمكننا ترك بريجيت هنا بمفردها.

قال بوارو بلطف كبير: لن يفيدنا بقاء أي منا هنا. هيا معي،
إنها لمأساة محزنة، محزنة جداً، ولكن لم يعد بوسعنا أن نصنع أي
شيء لمساعدة الأنسة بريجيت. ولذلك تعالوا إلى الداخل لتندفأ
ونشرب شيئاً من الشاي الحار أو القهوة الساخنة.

تبعه الجميع إلى البيت طائعين. وفي تلك اللحظة كان بيفيريل
على وشك قرع جرس الإفطار، ولقد بدا غريباً له أن يرى الكلب عائدين
من خارج البيت في هذا الوقت المبكر وأن يرى بوارو بمعطف فوق
بيجامته، ولكنه لم يعلق بأي شيء. لقد كان بيفيريل ما يزال الخادم
النموذجي وهو في هذه السن، وما كان ليلاحظ ما لم يُطلب منه
ملاحظته!

دخل الجميع إلى غرفة الطعام وأخذوا مقاعدهم، وحين استلم
كل منهم كوباً من القهوة أو من الشاي وشرع بارتشافه تكلم بوارو
قائلاً: إنني مضطر إلى إعادة سرد بعض الوقائع. لن أكون قادراً على
تقديم كل التفاصيل ولكنني سأشرح الخطوط العريضة للموضوع،

وهو يخص مهراجا هندياً صغيراً جاء إلى هذه البلاد ومعه جوهرة شهيرة كان سيقدمها هدية للفتاة التي سوف يتزوجها. ولكنه -لسوء الحظ- ارتبط قبل هذا الزواج بصداقة مع فتاة جميلة شابة، وهذه الفتاة لم تهتم حقيقة بالشاب بل اهتمت بالجوهرة ذاتها، وبلغ من اهتمامها بها أنها اختفت ذات يوم ومعها الجوهرة التاريخية الثمينة التي امتلكتها عائلة المهراجا لأجيال عدة. وهكذا وقع المسكين الشاب في ورطة فظيعة كما ترون. وما كان ليحتمل الفضيحة بذهابه إلى الشرطة، لذلك جاء إليّ، إلى هيركيول بوارو، مناشداً: "استرجع لي الجوهرة". حسناً، لقد كان لتلك الشابة اللعوب صديق محتال قام بالكثير من الأعمال الإجرامية (مثل الابتزاز وبيع الجواهر المسروقة) وقد حامت الشكوك حوله دوماً ولكن لم يمكن إثبات أي جرم عليه، فقد كان على درجة عالية من الذكاء والدهاء. وقد بلغني أن صاحبنا، الشاب الذكي المحتال، قد جاء إلى هذا البيت لقضاء عطلة عيد الميلاد. وكان من الضروري لتلك الفتاة المحتمالة أن تبتعد عن الأضواء لبعض الوقت بعد استيلائها على الجوهرة حتى لا تتعرض للاستجواب والمساءلة، وهكذا رُتّب أمر قدومها إلى هذا البيت متظاهراً بأنها أخت ذلك المحتال.

شبهت سارة وصاحت: آه، لا، ليس هنا... ليس معي هنا!

قال بوارو: بل هكذا تم الأمر. وبمناورة صغيرة أصبحت أنا أيضاً ضيفاً هنا في عيد الميلاد. كانت تلك الشابة (التي يُفترض أنها غادرت المستشفى لتوها) قد بدت متعافية تماماً عندما وصلت هنا، ولكن عندما وصل خبر قدومي أنا أيضاً (وأنا رجلٌ تحرّ معروف) أصابها -مباشرةً- ما أسميته انتكاسة. لقد أخفت الياقوتة في أقرب

مكان خطر على بالها ثم انتكست فجأة وحملت إلى سريرها، فلم تكن تريد لي أن أراها لأن عندي -بلا شك- صورة لها وسأعرفها. صحيح أن ذلك كان مملاً لها، ولكنها اضطرت لملازمة الغرفة فيما كان أخوها المزعوم يأخذ لها الطعام.

سأل مايكل: وماذا عن الياقوتة؟

بوارو: أظن أنه في لحظة الإعلان عن قدومي كانت تلك السيدة الشابة معكم في المطبخ بينما أنتم تضحكون وتحدثون وتشاركون في مزج خليط كعكات العيد. كانت خلطة الكعكات مسكوبة في عدة طاسات فأخفت السيدة الياقوتة بغرزها في إحدى طاسات الكعك، ولكن ليس في الكعكة التي ستناولها في يوم العيد. لقد كانت تعرف أن كعكة عيد الميلاد مسكوبة في قالب خاص، وهكذا فقد وضعتها في القالب الآخر، القالب الذي يُفترض أن تؤكل كعكته في عيد رأس السنة، آملة أنها ستغادر البيت قبل حلول عيد رأس السنة آخذة تلك الكعكة بالتأكيد. ولكن لننظر كيف يلعب القدر لعبته: فقد وقع صباح عيد الميلاد حادث، حيث سقطت كعكة العيد بقالبها الفاخر على الأرض وتناثر القالب إلى شظايا. فما العمل إذن؟ لقد أخذت السيدة الطيبة روس الكعكة الأخرى وقدمتها لنا.

كولين: يا إلهي! هل تعني أن القطعة التي وجدها جدي في فمه في عيد الميلاد هي الياقوتة الحقيقية؟

بوارو: بالضبط، ولكم أن تتخيلوا شعور السيد ديزموند وهو يراها. حسناً، ما الذي حدث بعد ذلك؟ تداولنا الياقوتة، وفحصتها أنا وتمكنت دون انتباه أحد أن أدسها في جيبي بلا اهتمام، ولكن

شخصاً واحداً كان يراقب ما قمت به ، وعندما أويت إلى فراشي
جاء ذلك الشخص وفَتَّشَ غرفتي وملابسي فلم يجد الياقوتة ، لماذا؟
هتف مايكل : لأنك أعطيتها لبريجيت. هذه هي القضية ، ولذلك
فقد... ولكنني لا أفهم. ما الذي حدث بالضبط؟

ابتسم بوارو في وجهه وقال: تعالوا الآن إلى المكتبة ، سأريكم
شيئاً من نافذتها من شأنه أن يوضِّح اللغز.

تبعه الجميع إلى المكتبة حيث أشار إلى النافذة قائلاً: تأملوا
ثانية مشهد الجريمة.

وانطلقت شهقةٌ موحّدة من شفاههم جميعاً ، فلم تكن على
الثلج أيّ جثة! لقد اختفت كل آثار المأساة إلا ثلجاً أفسدت الأقدام
استواءه.

علّق كولين بصوت خافت: أكان ذلك حلماً أم أن أحداً أخذ
الجثة؟

أجاب بوارو هازئاً رأسه وعيناه تلمعان: رأيتم؟ ها نحن أمام
لغز الجثة المفقودة.

صاح مايكل: يا إلهي! ما هذا يا سيد بوارو؟ آه! انظروا، لقد
كان يخذعنا طول الوقت.

تلاّأت عينا بوارو أكثر من ذي قبل وهو يشرح: صحيح
يا أبنائي. لقد أعددت أنا أيضاً نكتة صغيرة، فقد علمت بخططكم
فرتبْتُ لها خطة مضادة. حسناً يا آنسة بريجيت، أرجو أن لا تكوني
قد عانيت كثيراً في الثلج، لن أغفر لنفسي إذا أصابك التهاب رئوي.

كانت بريجيت قد دخلت الغرفة لتوها مرتدية تنورة وسترة صوفيتين وهي تضحك، وقال بوارو بصرامة: لقد أرسلت لك شراباً ساخناً، فهل شربته؟

قالت بريجيت: أجل، رشفة واحدة كانت كافية. أنا بخير الآن ولكن ذراعي تؤلمني من ذلك الرباط الذي ألزمتني بوضعه لوقف نبض المعصم. هل مثلت دوري بشكل جيد؟

بوارو: لقد كنتِ رائعةً يا طفلي، رائعة. ولكن دعيني أشرح لهم ما لم يفهموه. فالبارحة ذهبتُ إلى الأنسة بريجيت وأخبرتها أنني على علم بالخطة وطلبت منها أن تؤدي لي دوراً، فقامت بذلك بكل فطنة، ووضعت أثار الأقدام مستعينة بحذاء السيد لي ورتلي.

قالت سارة بصوت أجش: ولكن ما الهدف من ذلك كله يا سيد بوارو؟ ما الهدف من إرسال ديزموند لإحضار الشرطة؟ سيغضب رجال الشرطة كثيراً عندما يعرفون أنها مجرد خدعة.

هز بوارو رأسه بلطف قائلاً: ولكنني لا أعتقد أبداً أن السيد ديزموند قد ذهب لإحضار الشرطة، فجريمة القتل هي آخر ما يمكن للسيد ورتلي أن يرغب بالتورط فيه. لقد فقد أعصابه ولم يعد قادراً على أن يرى شيئاً إلا الفرصة التي سنحت له لأخذ الياقوتة، فأخذها وادّعى أن الهاتف معطل ليسرع إلى سيارته بحجة إحضار الشرطة. وأنا شخصياً أعتقد أن هذه هي المرة الأخيرة التي سترينه فيها ولأمد طويل، فله -كما أعلم- طرقة الخاصة في الخروج من إنكلترا. إن له طائرة خاصة، أليس كذلك يا آنسة؟

سارة: بلى، وقد كنا نفكر بـ...

توقفت فجأة، فقال بوارو: لقد أراد منك أن تهربي معه بتلك الطريقة، أليس كذلك؟ حسناً، إنها طريقة ذكية لتهريب الجوهرة خارج إنكلترا، فعندما يهرب المرء مع فتاة وينتشر الخبر فلن يشك أحد في أنه قد هرب أيضاً جوهرة تاريخية خارج البلاد. نعم، كان ذلك سيشكل تمويهاً رائعاً.

سارة: لا أصدق، لا أصدق كلمة واحدة مما تقول!

أوماً بوارو برأسه إلى الباب خلفها قائلاً: فاسألني شقيقته إذن. التفتت سارة بحدّة لترى في الباب فتاة حسناء ذات شعر أشقر بلاتيني تقف عابسة وهي ترتدي معطفاً من الفراء، وكان واضحاً أنها تتميز غيظاً.

- شقيقته؟! إن هذا الخنزير ليس أحاً لي! إذن فقد أخذ الجوهرة وتركني لأتحمل النتائج. لقد كانت العملية من تخطيطه هو، وهو الذي حرّضني وهباني لها. قال إنها ستكون ثروة دون عناء وإنهم لن يحاكموني خشية الفضيحة، فسوف يكون بوسعي أن أهدد دوماً بالإعلان عن أن الجوهرة قد وصلتني هدية. كان المفترض أن نقسم الغنيمة في باريس، وها هو الخنزير يتركني ويهرب. كم أود لو أقتله!

ثم غيرت الموضوع بسرعة قائلة: ينبغي أن أخرج بسرعة من هنا. هلاً طلب لي أحدكم سيارة أجرة؟

قال بوارو: بالباب سيارة ستأخذك إلى المحطة يا آنسة.

قالت الآنسة: لقد أعددت لكل شيء عدته كما يبدو؟

قال بوارو: نعم، لأغلب الأشياء.

لم يكن بوارو ليترك الأمور تجري بسهولة، فعندما عاد إلى غرفة الطعام بعد إيصال الأنسة ورتلي المزيفة إلى السيارة كان كولين بانتظاره وقد تقطب وجهه الطفولي وهو يقول: اسمع يا سيد بوارو، ماذا عن الياقوتة؟ أتعني أنك تركته يهرب بها؟

ظهر الامتعاض على وجه بوارو وهو يفتل شاربته مرتبكاً وقال: سأعيدها، لدينا وسائل أخرى، وما زال...

مايكل: ولكن... كيف يهرب هذا المجرم بالياقوتة؟!

صاحت بريجيت بحدّة: إنه يخدعنا ثانية! أنت تخدعنا يا سيد بوارو، أليس كذلك؟

قال بوارو: ما رأيك بخدعة سحرية أخرى يا أنسة؟ ضعي يدك في جيبى الأيسر.

دست بريجيت يدها في الجيب وأخرجتها مع صرخة انتصار رافعةً ياقوتةً ضخمةً تتلألأ بروعة لونها القرمزي.

قال بوارو: هل فهمت الآن؟ لقد كانت الياقوتة التي أمسكتها بيدك نسخة زجاجية لهذه الياقوتة، وقد أحضرتها معي من لندن لعلني أستطيع تبديلها بالياقوتة الحقيقية وذلك تفادياً للفضيحة. سيحاول السيد ديزموند أن يعرض الياقوتة في باريس أو بلجيكا أو حيثما كان المتعاملون معه، وهناك سيدركون بأن الحجر زائف! هل رأيت أروع من ذلك؟ لقد انتهى كل شيء على ما يرام، فقد تم تجنب الفضيحة،

وسيستعيد أميرنا ياقوته ويعود إلى بلاده ليدخل زواجاً رزيناً وسعيداً
كما نأمل. إنها النهايات السعيدة للجميع.

تمتت سارة قائلة: إلا لي أنا!

كان صوتها خافتاً جداً بحيث لم يسمعه أحدٌ إلا بوارو الذي هز
رأسه قائلاً: أنت مخطئة فيما قلتِ يا آنستي، فقد كسبت التجربة،
والتجارب كلها ثمينة. وأنا أشعر أن السعادة تنتظرك في المستقبل.

سارة: هذا ما تشعر به أنت.

كولين: ولكن قل لي يا سيد بوارو، كيف علمت بالمشهد
الذي كنا نعهده لك؟

قال بوارو وهو يفتل شاربه: إن العلم بالأشياء هو مهنتي.

كولين: نعم، ولكني لا أفهم كيف. هل خان أحدٌ منا ووشى
إليك بالأمر؟

بوارو: لا، لا، اطمئن.

كولين: إذن كيف؟ أخبرنا كيف.

وهتف الجميع بصوت واحد: نعم، أخبرنا، كيف؟

احتجَّ بوارو قائلاً: لا، لن أفعل، فلو أخبرتكم كيف استنتجت
ذلك فسوف تستخفون بالأمر، كالمساحر الذي يُطلع الناس على طريقة
أعماله السحرية!

الجميع: أخبرنا يا سيد بوارو، هيا، أخبرنا.

بوارو: هل تريدون فعلاً أن أحل لكم هذا اللغز الأخير؟

الجميع: نعم، هيا، أخبرنا.

بوارو: لا أعتقد أن هذا ممكن، ستصابون بخيبة أمل.

الجميع: ما هذا يا سيد بوارو؟ هيا أخبرنا. كيف علمت بالأمر؟

قال بوارو: حسناً، لقد كنت في ذلك اليوم جالساً باسترخاء تحت النافذة في المكتبة بعد أن تناولنا الشاي فأخذني النوم، وعندما استيقظت كنتم أنتم تناقشون خطتكم خلف نافذتي تماماً، وكانت النافذة مفتوحة من أعلاها!

هتف كولين بازدرء: أهدأ كل شيء؟! يا للبساطة!

فردّ بوارو وهو يبتسم: أليس الأمر كذلك؟ ألا ترى؟ لقد أحبطتك.

قال مايكل: على أية حال نحن نعرف كل شيء الآن.

دمدم بوارو لنفسه: هل نعرف حقاً؟ أما أنا فلا أعرف كل شيء... أنا الذي عمله أن يعرف الأشياء!

قام يمشي في الصالة وهو يهز رأسه قليلاً، ثم سحب من جيبه، ربما للمرة العشرين، ورقة مهترئة وقرأ فيها: "لا تأكل شيئاً من كعكة الخوخ... شخصٌ يريد لك الخير".

هز رأسه مرة أخرى. لقد نجح في تفسير كل شيء إلا هذه. من الذي كتب هذه الورقة؟ ولماذا كتبت أصلاً؟ لن ينعم بالراحة أبداً حتى يجد أجوبة لهذه الأسئلة.

كان مستغرقاً في هذه الأفكار عندما قطعها فجأة صوتُ شهقة مكتومة. والتفت بوارو ليجد أمامه خادمة ترتدي ثوباً مزهراً وتمسك بيدها ممسحة الغبار، ورآها تحدق بعينين واسعتين إلى الورقة التي أمسكها بيده. وما لبث الفتاة أن راحت تردد: آه يا سيدي، أرجوك يا سيدي...

سألها بوارو: ومن أنت أيتها الفتاة؟

- اسمي آني بيتس يا سيدي، وأنا هنا لمساعدة السيدة روس. أنا لم أقصد... لم يكن في نيتي أن أعمل شيئاً لا يليق بي أن أعمله. لقد كان قصدي طيباً... أعني لمصلحتك.

خطر ببال بوارو خاطر مفاجئ فسألها وهو يمسك الورقة بيده: أنتِ من كتبت هذه الورقة؟

- لم أقصد أي سوء يا سيدي، صدّقني.

قال بوارو مبتسماً: طبعاً أنت لم تقصدي أي سوء يا آني، ولكن خبّريني عن الأمر. لماذا كتبتِ هذه الورقة؟

- حسناً يا سيدي. لقد كان السبب هو السيد ورتلي وأخته. ولكنها لم تكن أخته في الحقيقة... أنا متأكدة من هذا، بل الجميع هنا كذلك. لم تكن أخته وكل الخدم أحسنوا بهذا... لقد أحسنا كلنا أن شيئاً غريباً يجري هنا. سأتحدث معك بصراحة يا سيدي، لقد كنت في حمام غرفتها أقوم باستبدال المناشف عندما سمعت الحديث من وراء الباب. كان هو في غرفتها وسمعتهما يتحادثان، قال لها: "هذا الرجل، رجل التحري الذي سيأتي إلي هنا... علينا أن

نتصرف بشأنه... يجب أن نبعده عن الطريق بأسرع وقت ممكن". ثم قال بصوت خافت: "أين وضعته؟"، فأجابته قائلة: "في الكعكة". آه يا سيدي! لقد أحسست بأن قلبي يكاد يتوقف عن الخفقان وأيقنت أنهما بصدد تسميمك بواسطة كعكة العيد. ولم أدر ماذا أفعل، فالسيدة روس ما كانت لتستمع إلى ما يقوله أمثالي. ثم جاءني الفكرة بأن أكتب لك تحذيراً، فكتبت هذه الورقة ووضعتها على وسادتك حيث يمكن أن تراها عندما تذهب إلى النوم.

توقفت أني وقد تقطعت أنفاسها، وتفحصها بوارو لبعض الوقت قبل أن يقول: لعلك تشاهدين كثيراً من أفلام الإثارة يا أني. ولكن المهم -على أي حال- أن لك قلباً طيباً وشيئاً من الإبداع. سأتذكر أن أرسل لك هدية عندما أعود إلى لندن.

- لك الشكر يا سيدي، لك الشكر الجزيل.

- ماذا تفضلين على سبيل الهدية يا أني؟

- أي شيء أحبه؟ هل يمكنني أن أحصل على أي شيء؟

- في حدود المعقول بالطبع، نعم.

- آه، شكراً يا سيدي. هل يمكنني الحصول على صندوق زينة كذلك الذي كانت تملكه أخت السيد ورتلي... أعني التي كانت تدعي أنها أخته؟

قال بوارو: "نعم، أحسب أن هذا أمر يمكن تديره"، ثم تمت بصوت خافت: يا للغرابة! لقد كنت منذ أيام في متحف أشاهد بعض الآثار التي تعود إلى المجتمع البابلي (أو أحد المجتمعات القريبة منه

منذ بضعة آلاف من السنين) ورأيت بينها صناديق لزينة النساء. يبدو
أن قلب المرأة لا يتغير أبداً!

- أرجو المعذرة يا سيدي، هل قلت شيئاً؟

- لا، لا تهتمي. سوف تنالين صندوق الزينة الذي تريدين
يا بنيتي.

- شكراً، شكراً جزيلاً يا سيدي.

غادرت آني المكان ونظر إليها بوارو وهو يهز رأسه باستحسان،
ثم قال لنفسه: والآن، لأذهب، فلم يبقَ ما يمكن أن أفعله في هذا
المكان.

* * *

نشكرك على الاهتمام بمنشوراتنا، ونأمل
أن تكون قد استمتعت بقراءة جزء من هذه
المجموعة القصصية.

يمكنك شراء نسخة ورقية من هذا الكتاب
(وسواء من الإصدارات) من موقعنا مباشرة،
ونرجو عدم التردد بالاتصال بنا لو
احتجت لأي مساعدة.

الأجيال

www.al-ajyal.com